المستشرق الألماني ماكس مايرهوف (1874 - 1945) وتراث الطب العربي الإسلامي

أحمد السري

أستاذ بقسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمارات العربية المتحدة

الملخص

يعرف هذا البحث بواحد من أبرز علماء الاستشراق في عصره (1874–1945)، هو المستشرق الألماني ماكس مايرهوف، وذلك لكثرة كتاباته ذات الصلة بتراث الطب العربي الإسلامي وبخاصة علم طب العيون، ومما يزيد كتاباته أهمية هو اشتغال الرجل في الطب كمهنة (طبيب عيون) ثم اشتغاله باحثاً ومنقباً عن فرائد المؤلفات العربية ذات الصلة بعلم الطب وعلم طب العيون خاصة، وعندما يجمع مستشرق بين حنكة الطبيب وهمة الباحث فإن أهمية كتاباته تزداد على ضوء المعرفة التخصصية التي تؤهله لإصدار أحكام يعتد بها في ميدان علم الطب.

ورغم مضي أكثر من ستين عاماً على وفاته إلا أنه ما يزال حي الذكر بين علماء تاريخ الطب عامة في الغرب وعند المهتمين بتاريخ الطب العربي الإسلامي. ورغم أنه عاش سنيناً في القاهرة وكتب فيها معظم أعماله ومات مصرياً، ورغم علاقاته المميزة مع رجال العلم في الشرق والغرب وموقعه العلمي وكثرة دراساته المنشورة، وورود اسمه مرجعاً علمياً في المصنفات الغربية خاصة ذات الصلة بتاريخ الطب العربي الإسلامي، إلا أنه لم يحظ حتى الآن، حسب علمي، بدراسة وافية بالعربية تعرض لسيرة حياة الرجل وإسهاماته العلمية وشهاداته المنصفة حول منجزات الطب العربي الإسلامي، وسيتولى هذا البحث استكمال هذا النقص، وتقديم سيرة وافية للرجل تتضمن التعريف بمحطات حياته وبأبحاثه وبدوره في تأكيد أهمية علم الطب العربي كما سيقدم البحث دور مايرهوف في التعريف بابن النفيس خاصة كأحد أبرز أطباء العرب والمسلمين في القرن السابع الهجري.

مدخل

تزخر المكتبة الألمانية بعدد وفير من الكتابات التي أنجزها علماء ألمان حول الطب العربي في عصر الحضارة الإسلامية[1]. ومنها كتابات المستشرق والطبيب الألماني ماكس مايرهوف (1874–1945م)، ويعد مايرهوف أحد أبرز علماء عصره، لجمعه بين مهنة الطبيب واهتماماته البحثية التي توزعت بين علم البكتيرياء والصيدلة وتاريخ الطب، وبخاصة طب العيون، وقد أحصيت كتاباته فزادت على 300 عمل، نشرت في مجلات علمية مختلفة وجمعت بعدئذ في مجلدات. وتكمن أهمية أعمال مايرهوف في تصويبها لكثير من مفاهيم الاستشراق عن الطب العربي وعلاقته بالمعارف اليونانية، وذلك من خلال مخطوطات عربية تمكن مايرهوف من العثور عليها وتحقيق بعضها ونشرها.

وعلى الرغم من عدم انحدار مايرهوف من مدارس الاستشراق التقليدية، إذ كان في الأصل طبيب عيون، فإن جودة كتاباته المختلفة في ميدان التراث الطبي الإسلامي وإسهاماته في التعريف بذلك التراث أهلته ليكون من أبرز دارسي الاستشراق وعلمائه، ولاسيما قد جمع الرجل بين مهنة الطب (طبيب عيون) وحصافة الباحث العلمي، فكان باحثاً ومنقباً عن فرائد المؤلفات العربية ذات الصلة بعلم الطب، وعندما يجمع مستشرق بين حنكة الطبيب وهمة الباحث فإن أهمية كتاباته تزداد على ضوء المعرفة التخصصية التي تؤهله لإصدار أحكام يعتد بها في ميدان علم الطب.

ولقد مضى أكثر من ستين عاماً على وفاته، ومع ذلك تراه حي الذكر بين علماء تاريخ الطب عامة وعند المهتمين بتاريخ الطب العربي الإسلامي. وعلى الرغم من علاقاته المميزة مع رجال العلم في الشرق والغرب وموقعه العلمي وكثرة دراساته المنشورة، وورود اسمه مرجعاً علمياً في المصنفات الغربية خاصة ذات الصلة بتاريخ الطب العربي الإسلامي، فإنه لم يحظ حتى الآن – بحسب علمي – بدراسة وافية بالعربية تعرض لسيرة حياته وإسهاماته العلمية وشهاداته المنصفة لمنجزات الطب العربي الإسلامي، ولم يكن مشمولاً بين جمهرة المستشرقين الذين وردت لهم سير ذاتية في كتاب صلاح الدين

المنجد، "المستشرقون الألمان" لكنه اُسْتُعْرِضَ بإيجاز شديد، حياة وإنجازات متعلقة بالصيدلة، في مقال عن "تاريخ الصيدلة العربية عند المستشرقين الألمان"، نشر في كتاب المنجد، تم فيه تتبع إسهامات المستشرقين الألمان بهذا الخصوص ومنهم مايرهوف[2]، كما لا تتوافر أية ترجمات لأعماله باستثناء ترجمة عبد الرحمن بدوي للبحث الشهير بعنوان "من الإسكندرية إلى بغداد، مقال في تاريخ التعليم الفلسفي والطبي عند العرب" نشره مايرهوف عام 1930.[3]

وسيتولى هذا البحث تقديم سيرة وافية للرجل تتضمن التعريف بأبرز إنجازاته العلمية وبدوره في تأكيد أهمية علم الطب العربي كما سيقدم البحث دور مايرهوف في التعريف بابن النفيس خاصة بوصفه أحد أبرز أطباء العرب والمسلمين في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي.

ولغرض الوفاء بهدف البحث رأينا أن نقسمه إلى المحاور التالية:

أولاً: سيرة ماكس مايرهوف، ويشمل:

- الميلاد والتكوين.
- الإقامة الأولى في مصر 1903– 1914.
- مايرهوف والحرب العالمية الأولى وسنوات ما بعد الحرب 1914– 1922.
- مايرهوف والإقامة الثانية في مصر 1923– 1945.
- وفاة مايرهوف 20/ 4/ 1945.

ثانياً: مايرهوف والتراث الطبي العربي الإسلامي، ويشمل:

- خلاصة عامة.
- إسهامات مايرهوف الأساسية في التراث الطبي العربي.

ثالثاً: ابن النفيس والتطاوي ومايرهوف (قصة اكتشاف عظمة ابن النفيس).

- اكتشاف ابن النفيس وصداه العلمي.

خاتمة.

أولاً: سيرة ماكس مايرهوف

من خلال سيرة مايرهوف تتكشف شخصية علمية متميزة تشكلت خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وهو زمن لم يكن مستقراً سياسياً، بل دارت فيه حربان عالميتان شهدهما مايرهوف، وأثرتا في مجرى حياته ومتابعاته العلمية، كما تكشف السيرة الذاتية عن أبعاد إنسانية في حياة مايرهوف، نرى تعرفها ضرورياً للوقوف على همة الرجل ودأبه في متابعة أعمال متنوعة في وقت واحد برز فيها جميعاً واستحق شهرة وتقديراً من معاصريه وأصدقائه.

تولى كتابة سيرة مايرهوف الذاتية أكثر من قلم بعد وفاته في 20/ 4/ 1945، منهم صديقه المستشرق الإنجليزي المشهور يوسف شخت، ولم يكن شخت صديقاً شخصياً وحسب بل شارك مايرهوف في إنجاز أعمال علمية كثيرة، كما كتب معاصره المستشرق الألماني المشهور أيضاً إنو ليتمان، Enno Littmann، نعياً حاراً عند وفاة مايرهوف ضمنه سيرة موجزة له، وهذان الكاتبان هما أبرز معاصريه، كما كتب البروفيسور الأمريكي بيكارد Picard نعياً، لم نتوفر عليه، لكن مقتطفاً مهما منه سنشير إليه أورده ليتمان في نعيه.

وهناك سيرة ضافية عن مايرهوف وردت في رسالة دكتوراه عن أطباء العيون الألمان في مصر كتبها المستشرق فولفجانج رف Wolfgang Raff، كرر فيها معظم ما ورد عند شخت وليتمان، وأضاف تفاصيل مهمة أوضحت ما تم ذكره عند شخت إجمالاً.

وما سنورده هنا من سيرته الأولى سنعتمد فيه بشكل أساس على كتاب سيرته المذكورين وأولهم شخت الذي يبدو أنه أعد هذه السيرة إثر وفاة مايرهوف عام 1945م، لكنها لم تنشر إلا عام 1950م، في المجلد التاسع من مجلة Osiris المهتمة بشؤون الاستشراق، وفيها مقالات وفيرة ومراجعات كتب لها صلة بمايرهوف وأنشطته العلمية. ولابد من إزجاء الشكر هنا لجامعة الإمارات العربية المتحدة التي سهلت عبر اشتراكها في هذه المجلة الدخول إليها إلكترونياً

والحصول على النص الكامل للسيرة التي كتبها يوسف شخت بأرقام صفحاته الأصلية، كما سهلت الحصول أيضاً على ما كتبه جورج سارتون George Sarton، صاحب تاريخ العلم، في مقدمته للمجلد التاسع من مجلة Osiris، الذي تعرض فيه هو الآخر بإيجاز لمقام مايرهوف العلمي وطبيعة صلته به[4]. والشكر موصول أيضاً للأستاذ الدكتور محمد مؤنس عوض أستاذ العصور الوسطى الذي اطلع على مسودة هذا البحث ورفده بملاحظات قيمة.

الميلاد والتكوين

ولد ماكس مايرهوف في هيلدس هايم، بمقاطعة هانوفر بألمانيا في 21 مارس عام 1874م لعائلة يهودية امتهنت التجارة، وكانت العائلة قد استقرت في مدينة هيلدس هايم منذ قرنين من الزمان، وحصلت على حقوقها المدنية (حقوق المواطنة) كاملة عام 1720م من أسقف مدينة هيلدس هايم[5]، ويرى شخت أن منح هذه الحقوق يعد استثناء بالنسبة لليهود في النصف الثاني من القرن الثامن عشر[6]. أما أمه، لينا شبيجلبيرج Lina Spiegelberg، التي يصفها شخت بالذكية والنشيطة فكانت ابنة عائلة تجارية ومصرفية، وقد تفتقت في هاتين العائلتين مايرهوف وشبيجلبيرج عقول علمية مميزة حازت شهرة ومكانة في ميدان العلم، فكان منهم خال ماكس مايرهوف أوتو شبيجلبيرج، (1830–1881م)، طبيب أمراض النساء والتوليد، عمل أستاذاً في جامعات جوتنجن، فرايبورج وكونجسبيرج وبرسلاو. وكان منهم أحد أبناء خاله، فيلهلم شبيجلبيرج (1871–1930م)، عالم المصريات (Egyptologist)، الذي عمل في جامعات شتراسبورج وميونخ، وعرف بأبحاثه حول الكتابة الديموطيقية (العامية – الشعبية) لمصر القديمة، وكان منهم ابن عمه الكيميائي والمتخصص في علم وظائف الأعضاء، أوتو مايرهوف Otto Meyerhof (1884–1951)، الحاصل على جائزة نوبل في الطب عام 1922.[7]

مات والد ماكس ماير هوف بعد عامين من ولادته عام 1876م، فتولت الأم تربية أبنائها وانتقلت إلى هانوفر، وهناك تزود مايرهوف بمعارفه العلمية

الأولى وأنهى دراسته الثانوية عام 1892م، ومن بين المعارف التي حصلها معارف دقيقة في اللغتين اللاتينية والإغريقية، وهو أمر كان له أثره البارز في أبحاثه حول تاريخ الطب العربي الذي انشغل به فيما بعد، بالإضافة إلى تأسيس معارفه في القواعد العامة للغتين الفرنسية والإنجليزية مكنته بعدئذ من تطوير مهاراته اللغوية فيهما بسهولة، كما حصَّل أيضاً معرفة عملية في العبرية.[8]

ويذكر شخت أن مايرهوف كان ميالاً لدراسة التاريخ وعلم اللغة، لكنه التحق بكلية الطب البشري لأسباب عملية. بعد خمس سنوات من دراسة الطب في جامعات هايدلبيرج وبرلين وشتراسبورج. أنهى دراسته في شتراسبورج عام 1897م بتفوق وضَّاح أهله للعمل مساعداً في معهد أبحاث البكتيريا التابع لكلية الطب، وفي العام التالي 1898م بدأت ثمراته العلمية بالظهور من خلال أطروحته لنيل الدكتوراه حول الدفتيريا البكتيرية وبورقة حول البروتيوس البكتيري، وفي الوقت نفسه عمل في بحث حول بعض أنواع البكتيريا المسببة لأمراض الحيوان.[9]

ومن بين المؤثرات المهمة التي ساهمت في تشكيل مستقبل مايرهوف في تلك المرحلة المبكرة، محاضرات ابن خاله فيلهم شبيجلبيرج حول مصر القديمة في شتراسبورج؛ فقد أغرمته هذه المحاضرات بالخط الهيروغليفي، فأخذ يتعرف أسسه فأيقظ لديه اهتماماً حيوياً بعالم مصر القديم[10].

وقد اضطره الموت المفاجئ لزوج أخته إما مايرهوف، Emma meyerhof، أن ينتقل إلى برلين ليكون بجانبها[11]. وفي برلين قرر أن يبدأ دراسة تخصصية قي طب العيون، وقد أرجع شاخت هذا القرار لعدم تمكن مايرهوف من التواصل مع معمل البكتيريا في شتراسبورج[12] حيث كان يعمل قبل ذلك، لكن المؤرخ رف - وقد اطلع على هذا السبب عند شخت- لم يقتنع به ولم يناقشه واكتفى بذكر أنه لا يمكن إعطاء سبب دقيق لقرار مايرهوف التخصص في طب العيون[13]، لكن ليتمان يذكر في نعيه لمايرهوف أنه كان قد تعمق في أمراض العيون في أثناء دراسته الطب بجامعة برومبرج Bromberg، وفي مرض التراخوما خاصة، وزاد على ذلك أنها مرض العيون المصري[14]، ويبدو أن ذلك

كان أمراً شائعاً في وقته، وربما عرف مرض العيون المصري هذا عن طريق ابن خاله عالم المصريات السابق الذكر، ولا يستبعد أن يكون هو من نصحه كي يتخصص في طب العيون ضمن أفكار مستقبلية متبادلة بين الرجلين.

بعد الانتهاء من التخصص في طب العيون عمل مايرهوف أولاً مساعداً متطوعاً في عيادة خاصة في برلين، وبعدئذ مساعداً في عيادة في مدينة برومبرج. وقد ظل مايرهوف يعمل في هذه العيادة حتى عام 1901. في هذه الفترة نشر مقالات علمية حول العمليات التي أجريت في عيادة طب العيون في برلين وغيرها.

وأول رحلات مايرهوف إلى مصر كانت في شتاء عام 1900–1901، برفقة ابن عمه أوتومايرهوف. ويذكر كتاب سيرته أن أسباباً صحية فقط دفعته لزيارة مصر للمرة الأولى، فقد نصحه طبيبه الخاص بالذهاب إلى مصر للاستشفاء بهواء مصر من آلام في كليتيه، وقد برئ من آلامه فعلاً كما يذكر ليتمان[15]، وهو ما يعكس صواب النصيحة الطبية التي أسديت إليه.

وفي مصر هالته أعداد العميان والعور وقصار النظر، فدعاه ذلك للتفكير في الاستقرار بمصر طبيبا للعيون، وقد نوقشت الفكرة في أسوان بصعيد مصر، حيث سافر إلى هناك للقاء ابن خاله فيلهلم شبيجلبيرج عالم المصريات السابق الذكر، والذي يبدو أنه شجعه على اتخاذ قرار الاستقرار في مصر[16]، كما فعل غيره من الأطباء قبله. بعد هذه الزيارة لمصر وعلى خلفية النية في العودة إليها طور مايرهوف خبراته في طب العيون؛ ففي الفترة الواقعة بين عام 1901م وبداية عام 1903م، عمل في عيادات إلى جانب متخصصين كبار في كل من برومبرج وبرسلاو، كما أنجز بعض أبحاث تتعلق بالإبصار وتصويب انحرافاته. وانطلاقاً من محطته الأخيرة هانوفر حيث كان يعمل بدأ إجراءات سفره إلى مصر[17].

الإقامة الأولى في مصر 1903–1914

يتفق كتاب سيرة مايرهوف أنه في أكتوبر عام 1903م وصل إلى القاهرة، وأنه كان محظوظاً منذ البداية؛ إذ تسلم عيادة معروفة لطبيب العيون الألماني فون

هيرف[18]، فعمل في هذه العيادة التي اختصرت عليه مشوار الشهرة. ومن هذا الموقع بدأ مايرهوف ممارسة طب العيون في مصر، كما بدأ الاهتمام بالأبحاث العلمية والصلات الاجتماعية. فعقب استقراره مباشرة التحق بجمعية أطباء العيون في مصر عضواً من أعضائها، وكانت قد أسست عام 1902م. من خلال هذه الجمعية أقام علاقات مهمة مع زملاء المهنة سهلت له التكيف مع بيئته الجديدة كما سهلت له تطوير عيادته لمواجهة أعباء العمل هناك[19]، وقد صار مايرهوف رئيساً لهذه الجمعية بعدئذ عام 1910[20]، أي بعد ثمانية أعوام فقط، وهو ما يعكس حضوراً شخصياً ونشاطاً مميزاً.

اشتهر مايرهوف سريعاً بوصفه طبيب عيون ماهراً، وزاد من شهرته ما أبداه من همة عالية لتعلم اللغة العربية عامية وفصحى إلى جانب معرفته بالفرنسية والإنجليزية والإيطالية، وهي لغات سهلت عليه إقامة علاقات إنسانية مع مرضاه من خلال التخاطب معهم في لغاتهم المختلفة، كما اشتهر مايرهوف بتقديره لأحوال مرضاه فكان يعالج المعوزين منهم مجاناً، ويقدم إعانات متنوعة للمحتاجين من الألمان بغض النظر عن عقائدهم[21].

في مصر، وفي إطار هم البحث العلمي، طور مايرهوف قدراته اللغوية فانكب على تعلم اللغة العربية المحلية والفصحى إلى جانب تطوير معارفه في اللغات الأخرى ومنها اليونانية، فقد أحس سريعاً بحاجته إلى هذه اللغات وهو يكتشف عالماً مثيراً من تراث العرب الطبي، وكان مايرهوف موهبة لغوية بارزة، فإلى جانب اللغات الفرنسية والإنجليزية والعبرية وغيرها من اللغات أجاد العربية أيضاً وقرأ بها وتكلم، لكن لم يؤثر عنه أنه بها كتب. ومن بين الذين تعلم على أيديهم أسس اللغة العربية المستشرق ليتمان، الذي زار مصر عام 1910م بدعوة من الجامعة الأهلية، وهي أول جامعة في مصر، أسسها عام 1908م الأمير فؤاد من أسرة محمد علي، قبل أن يصبح حاكماً لمصر، فقد كتب ليتمان في نعيه أنه في هذه الزيارة التقى مايرهوف وطلب منه أن يعلمه العربية الفصحى، وقد فعل ذلك ليتمان مسروراً وأضاف أنه لم يعلمه سوى الأسس العامة للعربية وأن

مايرهوف واصل بعد ذلك تطوير قدراته شخصياً بهمة ونشاط، وتمكن من جمع مخطوطات وتحقيقها بكفاءة فائقة[22].

وفي مستشفى عباس الذي أسس في القاهرة آنئذ، عين مايرهوف عام 1911م رئيساً لقسم طب العيون وأخذ يجري فيه عمليات متنوعة لأمراض العيون المختلفة.

تنوعت أنشطة مايرهوف في القاهرة، ومن بينها النشاط البحثي الذي بدأه فور وصوله إليها بدعم وتعاون مخلص من البروفيسور هاينرش بيتر Heinrich Bitter، الذي كان يدير مركز أبحاث حول مرض الكَلَب وطرق علاجه، إلى جانب إدارته منذ عام 1893م لمعهد رسمي مصري يهتم بعلم الأمصال وخواص الدم Serologyوعلم البكتيريا، وقد ارتبط الرجلان بعد ذلك بصداقة متينة[23]. والتفت مايرهوف إلى دراسة البكتيريا وأمراض العيون المعدية والتراخوما المصرية ونشر أولى نتائج بحثه عام 1905. ثم تتابعت بعد ذلك أبحاثه ودراساته حول أمراض العيون في مصر في مجلة جمعية أمراض العين المصرية التي كان أحد مؤسسيها[24]. ولم يكتف مايرهوف بهذا بل كان نشطاً في تحسين الرعاية الطبية الخاصة بالعيون ونشطاً في محاربة الخرافات والشعوذة والتكاسل وتنبيه الناس إلى مراقبة أحوال عيونهم والاعتناء بها وتجنب أشكال المعالجات الشعبية أو تلك التي تعتمد الشعوذة والدجل، كما نبه على ضرورة توعية الناس بأهمية النظافة ووسائل الصحة، وطالب بتوزيع أطباء العيون على نحو عادل في جميع أرجاء البلاد وافتتاح أقسام العيون في المستشفيات القائمة[25].

ويذكر رف أن الأهمية المتزايدة التي أخذ يحظى بها مايرهوف أهلته لأن ينتخب عام 1908/ 1909م رئيساً لجمعية أطباء العيون المصرية، وأنه اقترح أمام اجتماع للجمعية العامة عام 1909 العمل بنظام الفحص الدوري لعيون أطفال المدارس، وعقد مؤتمراً لدعم أحوال العميان في مصر، وقد عقد هذا المؤتمر بالفعل بعد سنتين عام 1911م، وكان تحت عنوان "مؤتمر أصدقاء المكفوفين" وأثمر هذا المؤتمر تأسيس جمعية لتحسين أحوال العميان في مصر[26]، وهي مقترحات تكشف عن فكر ريادي لمايرهوف في تلك المرحلة الباكرة.

ويحسن أن نذكر أن مصر في سنوات إقامة مايرهوف الأولى من عام 1903 –1914م كانت تحكم من قبل أعقاب أسرة محمد علي باشا الذي تمرد على الخلافة العثمانية وقاد حملة تحديث لمصر في القرن التاسع عشر[27] جلبت عليه غضب قوى الغرب الناهضة آنئذ وهم الإنجليز والفرنسيون تحديداً، وهي القوى التي دخلت في عراك طويل الأمد مع الخلافة العثمانية التي احتفظت بنفوذها الرسمي على مصر على أساس حكم أسرة محمد علي لها، ويمكن القول إن سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى في مصر هي سنوات تراجع النفوذ العثماني في مصر وتنامي النفوذ البريطاني حتى انفردت بريطانيا بالتحكم في شؤون مصر فعليا.[28] وفي فترة النفوذ البريطاني هذه وقعت أحداث كثيرة في مصر ألهبت المشاعر الوطنية وألهمتها أشكالاً عدة في المقاومة، وكان الزعيم الوطني المصري مصطفى كامل وزملاؤه من ابرز رموز ممثلي هذا الاتجاه الوطني لهذه الفترة، وكانت حركتهم وكتاباتهم تمثل تجسيداً لوعي الشعب المصري بوطنيته وحقوقه، وكان من ثمارها تعزيز يقظة النخب المصرية الفاعلة بخطر الأجانب على مصر وخيرات مصر بسبب النهب الممارس ضد مصر وخيراتها، وتحولها إلى سوق للعمالة الغربية وبضائعها[29].

وتحت تأثير زخم الحركة الوطنية وكتاباتها الملهبة للمشاعر الوطنية انتعشت ثانية شعارات "مصر للمصريين"، و"لا لتركيا ولا للأوربيين".[30]

في هذا الإطار التاريخي الذي لم يظهر قط لا في كتابات مايرهوف ولا عند كتاب سيرته يمكن تفهم مواقف المصريين الذين رأوا بلادهم نهباً لقوى خارجية، وهو حال سيتطور وستتشكل معه الملامح الأولى لمصر المعاصرة. في هذا السياق التاريخي الذي نستدركه هنا يورد رف معلومات عن مواقف أطباء مصر الوطنيين إزاء الأطباء الأجانب الذين يعملون في بلادهم ويذكر أنهم نظموا حملات مقاطعة بدؤوها ضد مجلة صدرت بالفرنسية عام 1913م باسم "المجلة الطبية المصرية" Revue medicale de Egypte"، وكان مايرهوف مشاركاً في إصدارها كما كان كل كتابها أطباء أوروبيين، فقد تجاهلتها الصحافة المصرية وقاطعها الأطباء المصريون واضطرت للتوقف بعد عام من صدورها[31]. ولم

يكتف الأطباء المصريون بالمقاطعة بل رفعوا أصواتهم مطالبين بإلغاء الامتيازات التي يحصل عليها الأطباء الأجانب في مصر، فهم يدخلون البلاد ويخرجون متى شاؤوا وكيف شاؤوا، ويعطى لهم حق فتح العيادات والاستقرار بلا حسيب ولا رقيب وطالبوا بضرورة عقد امتحان لكل من يرغب في فتح عيادة في مصر للتأكد من أهليته، ويذكر رف أن مايرهوف اقتبس في إحدى كتاباته دعوة طبيب مصري نشرها في الصحف ووجهها لزملائه يقول فيها: "إن الأطباء الأجانب يأتون إلينا غير مؤهلين وهدفهم الوحيد هو اكتساب المال الوفير فقط، ولذلك فإن واجب كل مصري وطني غيور أن لا يذهب إلا إلى طبيب مصري حال مرضه"[32]. ويبدو أن الدعوة لقيت صدى عند مواطني مصر فساءت بسبب ذلك أوضاع بعض الأطباء الأجانب، أما مايرهوف فلم يتضرر من هذه المقاطعة؛ فقد كان من الشهرة وتقدير الناس له بمكان، فلم تنل منه دعوات المقاطعة[33]. لكن أموراً أخرى، هي التطورات السياسية الجارية على المستوى العالمي، غيرت مسار هذه الفترة من حياة مايرهوف، وهي تطورات أفضت إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى. ففي يوليو من عام 1914م طلب منه القنصل الألماني في القاهرة الالتحاق بالخدمة العسكرية فعاد إلى ألمانيا[34]، وهي معلومة ينفرد بها رف ويجعلها سبباً لعودة مايرهوف إلى ألمانيا، أما شخت فيعطي سبباً آخر لوجود مايرهوف في ألمانيا قبيل اندلاع الحرب وهو زيارة أمه العجوز[35]، كما يذكر ليتمان أن مايرهوف كان يقضي عطلته الصيفية لذلك العام في ألمانيا[36]، وهي معلومة تتوافق مع ما يذكر شخت عن مايرهوف وأنه تعود أن يقضي عُطَله الصيفية في أوروبا، وأياً كان الأمر فقد اندلعت الحرب العالمية الأولى بينما كان مايرهوف في ألمانيا، فعمل طبيباً متطوعاً في الجيش الألماني[37].

مايرهوف والحرب العالمية الأولى وسنوات ما بعد الحرب 1914-1922

عمل مايرهوف طبيب عيون في معسكر للجيش الألماني في هانوفر واستفاد من عمله هذا في مراقبة حالات مرضية ناشئة عن الحروب، فنشر في هذه الفترة مقالات عدة ناقش فيها "مشكلات الطب الحربي"، ولم تعقه الحرب

عن شغفه بتاريخ الطب العربي فوجد وقتاً للبحث عن كتب طب عربية في مكتبات هانوفر وجوتنجن وبرلين[38].

وضعت الحرب أوزارها وخرجت بريطانيا وفرنسا منتصرتين على دول المحور ومن بينها ألمانيا، ووقعت مصر نهائياً تحت الاستعمار البريطاني، فرأى مايرهوف أن أحوال مصر بعد انتهاء الحرب مباشرة ليست تلك التي تركها عليها، خاصة وقد فقد فيها بسبب الحرب كل ممتلكاته وكتبه، فافتتح عيادة ناجحة لطب العيون في مقاطعة هانوفر وإن لم يسكت حنينه أبداً للعودة إلى مصر كما يذكر رف[39]. وفي سنوات الحرب هذه والتي بعدها حتى عام 1923م، انشغل مايرهوف، مدفوعاً بحسه البحثي وولعه بتاريخ الطب العربي، بالبحث عن مخطوطات طبية عربية في مكتبات هانوفر وبرلين وجوتنجن، وهي من أشهر مكتبات ألمانيا التي تحوي ذخائر من تراث المخطوطات العربية في الطب وغيره من العلوم، كما اجتهد في إقامة علاقات مع أشهر مستشرقي عصره من الألمان في برلين وإرلانجن وهامبورج، لخدمة طموحه في معرفة المزيد عن تاريخ الطب العربي وإنجازاته، ولم تقتصر علاقات مايرهوف على المستشرقين الألمان لكنه طورها بعد ذلك لتشمل أشهر المستشرقين على المستوى الأوروبي، ومن بينهم شخت وجورج سارتون، مؤلف الكتاب الشهير: "المدخل إلى تاريخ العلوم".

مايرهوف والإقامة الثانية في مصر 1923- 1945

يشير كتاب سيرة مايرهوف إلى أنه عاد إلى مصر بداية عام 1923 بعد حصوله نهاية عام 1922 على إذن خاص من المندوب السامي البريطاني المارشال اللينبي، وهو أحد ضباط الحرب الإنجليز الرئيسين، كان مسؤولاً عن جبهة الشام، وكان القائد العسكري هناك حتى استدعته بريطانيا إلى مصر عام 1919م ليشارك بصيغة مدنية، بصفة مندوب سام لبريطانيا في مصر، في القضاء على ثورة الشعب المصري الذي برز فيها سعد زغلول زعيماً للشعب المصري في تلك الفترة[40]، ويذكر رف أن مايرهوف يعد أول ألماني يعود إلى مصر بعد

الحرب العالمية الثانية، وهي إشارة مهمة تفيد انغلاق مصر كلياً أمام النشاط الألماني الرسمي والشعبي على السواء، وحق لبريطانيا المنتصرة والمتحكمة في شؤون مصر أن تتكرم على ألماني بالدخول إلى مصر، لكن كتاب سيرة مايرهوف يهملون البيئة التاريخية كلها، حتى في ظروف عودة مايرهوف الاستثنائية هذه إلى مصر لا يتحدثون عن خلفيات هذا الإذن الخاص، على الرغم من أن كاتب نعي مجهولاً ذكر أنه تدخل لتسهيل عودة مايرهوف إلى مصر[41]، لكن كتاب سيرته لم يشيروا إلى هذا الخبر ولم يعلقوا عليه، وقد انفرد ليتمان بالإشارة إلى الاستقبال الحافل الذي لقيه مايرهوف عند عودته إلى مصر،[42] ولم يوضح ليتمان من الذي استقبله استقبالاً حافلاً على وجه الدقة، لكنها تبقى إشارة مهمة للذكر الطيب الذي خلفه مايرهوف في القاهرة، ولحاجة الناس إلى طبيب عيون بمقام مايرهوف، ولعل اللينبي – ولا يستبعد أن يكون قد استشار وزارة الخارجية البريطانية – رأى السماح بعودة مايرهوف غير ضار بالوجود البريطاني في مصر، خاصة أن مايرهوف لم يكن له أي نشاط سياسي سابق، بل ربما أدى الإذن بعودته إلى تقدير الجمهور للسياسة البريطانية التي لا تبخل على جمهور القاهرة – على الأقل – بطبيب مجرب وإن كان ألمانياً، على الرغم من أن تنامي الشعور القومي في مصر ترك بصماته على الساحة الشعبية، وهو شعور رافض للأجانب وللميزات المجانية التي يحوزونها في بلادهم.

لم تكن إقامة مايرهوف الثانية في مصر سهلة، إذ اضطر أن يبدأ من الصفر ثانية لفقده كل شيء بسبب الحرب، على الرغم من أن أحد أصدقائه البريطانيين كان قادراً على إنقاذ كتبه من الدمار على الأقل – كما يذكر شخت –[43] دون أن يفصل شيئاً أو يذكر اسم الصديق البريطاني. لكن نعياً مجهولاً لمايرهوف، أشرنا إليه سابقاً، نشر عام 1946م في المجلة البريطانية لطب العيون، British Journal of Ophthalmology، يذكر كاتبه مايلي " وكاتب هذا النعي له شرف أن يحمي كتب مايرهوف من الدمار، وأن يحصل له على إذن بعودة مبكرة إلى مصر عقب نهاية الأعمال العدائية "[44]، لكن المستشرق شخت أهمل هذا الخبر على الرغم من أنه نشر عام 1946؛ أي قبل أن ينشر شخت سيرة مايرهوف بأربع

سنوات، وفضل إثبات ما يناقض هذا القول بشأن الكتب. ولعله كان على علم مباشر من مايرهوف بملابسات ضياع الكتب وبأن هذا الصديق البريطاني لم ينقذ الكتب، إلا أن نكون أمام شخص آخر غير الذي عناه شخت، وهذا غير متيسر معرفته الآن.

بدأ مايرهوف ثانية من الصفر؛ فعمل أولاً في عيادة أحد أصدقائه الفرنسيين، وجدد عضويته في جمعية أطباء العيون المصرية، ولم يتمكن من فتح عيادة مستقلة باسمه إلا عام 1930م، ؛أي أنه احتاج عدة أعوام كي يستقل ثانية بعمل خاص به.

وبعد عودته إلى مصر عام 1922م استأنف مايرهوف علاقاته العالمية الواسعة التي تجمدت في أثناء الحرب العالمية الأولى، وبفضل اهتماماته العلمية تمكن من تعزيز صلات قديمة وإقامة صلات علمية جديدة عبر مساعدته لعدد كبير من العلماء الأوروبيين والأمريكيين وتزويدهم بمعلومات حول الحياة الشرقية والعلم الشرقي، كما كان غالباً ما يزودهم على شكل هدايا بمخطوطات عربية ونسخ مصورة أو كتب مطبوعة[45]. ومن بين أبرز زواره في مصر جورج سارتون George Sarton السالف الذكر، والمستشرق الألماني بيرجشتراسر Bergsträßer والبرفيسور هـ. جب .Gibb H والبروفيسور ماسينون، L.Massignon، والكاتب الشهير توماس مان Thomas Mann Wassermann، وقد اشتملت دائرة أصدقائه على النخبة المثقفة لمصر والمقيمين الأوروبيين والأمريكيين.[46]

وفي عام 1932م، وقد رسخ مايرهوف لنفسه شهرة علمية بوصفه أحد أبرز عارفي تاريخ الطب، تلقى دعوة من جامعة لايبتزج، ليكون فيها أستاذ كرسي في تاريخ الطب، لكن مايرهوف اعتذر عن قبول الدعوة، ويورد رف أسباباً لرفض مايرهوف هذه الدعوة، وهي: فهم مايرهوف لطبيعة التحولات السياسية والثقافية في الحياة الألمانية حينذاك، ونذر العداء المتصاعد ضد اليهود في تلك الفترة، بالإضافة إلى رسوخ قدمه في مصر.[47]

بعد اعتلاء هتلر عرش السلطة في ألمانيا عام 1933م وصدور ما عرف

بقوانين نورنبرج العنصرية، التي استهدفت اليهود بشكل خاص آثر مايرهوف أن يطرح جنسيته الألمانية ويكون مصرياً، فحصل على الجنسية المصرية عام 1935م دون أن يتخلى عن تقديم إعانات مالية للمنظمات التي حاولت مساعدة اليهود الملاحقين في ألمانيا وفي دول أوربا الشرقية التي احتلها هتلر بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية[48]، ويذكر شخت أن الملاحقات النازية لليهود والعلماء وأصحاب مهن مختلفة، في ألمانيا وفي النمسا وتشيكوسلوفاكيا فيما بعد، أعطت مايرهوف طاقة إضافية للعمل لصالح عدد من منظمات الإعانة وحفزته للقيام بالمراسلات عبر العالم باسم مئات من المعوزين من رجال ونساء. ولأنه كان مؤمناً بعمق بالمثل الليبرالية والديمقراطية خلال حياته كلها، فقد أدرك بوضوح خطر الاستبداد منذ البداية، وهو خطر كان يلقي ظلالاً قاتمة على جزء غير يسير من سني حياته المثمرة علمياً[49].

وفاة مايرهوف 20/ 4/ 1945

بدأت صحة مايرهوف في التدهور في السنوات الثلاث الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، وقد أحس مايرهوف بأن قواه تخور لكنه لم يحد من أعداد مرضاه إلا بالتدريج[50]، بل إن صديقه عالم الآثار ليتمان يذكر أنه لم يتوقف عن استقبال مرضاه حتى قبل وفاته بقليل، وأن بعضهم كان يأتي إليه للاستشفاء وهو طريح في سرير المرض بالمستشفى وقد بترت إحدى ساقيه[51]، كما أخذ مايرهوف يتابع في سنوات مرضه بكل طاقته العقلية أبحاثه العلمية التي نشر بعضها بعد موته.

وفي العشرين من إبريل عام 1945م مات مايرهوف في القاهرة، عن عمر يناهز الواحد والسبعين عاماً، ودفن في المقبرة اليهودية وكتبت على شاهد قبره عبارة بالعبرية فيها: " وهب المكفوفين النور، وأضاءت حكمته طرق الباحثين" .[52] وقد كتب الكثير من مقالات النعي بعد وفاته وأقيم له حفل تأبين في المعهد المصري الذي كان ينتسب إليه.[53]

أثر عنه أن أعز أمانيه كانت في هذه الفترة هي أن يشهد نهاية لسلطة هتلر،

وقد أذيع خبر موته في القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية وتحدث فيه صديقه يوسف شخت ناعياً بكلمات مقتضبة شخصية طبية وعلمية مميزة.

حصل مايرهوف في مسيرة حياته على جوائز عدة وشهادات تقدير متنوعة، وطبقاً لما ذكره رف فقد حصل في عام 1928م من كلية الفلسفة التابعة لجامعة بون على شهادة الدكتوراه الفخرية، وكان صديقه المستشرق الكبير إينو ليتمان وراء هذا التكريم(54)، وكان عضواً شرفياً في جمعيات مصرية مختلفة، وانتخبه المعهد المصري نائباً لمديره عام 1940/ 1941، وحاول نادي الروتري Rotary أن يستقطبه ليكون عضواً فيه ليتشرف بذلك، ودعته الجامعة العبرية في القدس في مارس عام 1936م لإلقاء محاضرة عامة، كما حصل على ميداليات وأوسمة تقدير، لكن أعزها عنده وأقربها إليه، كما يذكر رف كان "وسام النيل"، وهو وسام منحه إياه الملك فؤاد شخصياً ورفع به مكانة مايرهوف إلى رتبة قائد(55).

ثانياً – مايرهوف والتراث الطبي العربي الإسلامي

خلاصة عامة

خلف مايرهوف أكثر من ثلاثمائة عمل علمي متنوع، وكان صديقه يوسف شخت قد ضمن السيرة التي نشرها لمايرهوف في مجلة Osiris عام 1950م، قائمة بالأعمال التي توافرت لديه آنئذ كما سلمت إليه من مايرهوف شخصياً عام 1940م، وهي تشكل القدر الأعظم لأعماله بالإضافة إلى ما اكتشف ونشر بعد ذلك في الجامعة العبرية بالقدس عام 1944م تحت عنوان " قائمة بأعمال ماكس مايرهوف "(56) أو ما اكتشفه بعض المهتمين بأعمال مايرهوف.

قسم يوسف شخت أعمال مايرهوف إلى سبعة حقول، هي علوم البكتيريا والصحة العامة، علم طب العيون، تاريخ طب العيون، تاريخ الطب والعلوم الطبيعية، الاستشراق، عروض كتب مختارة. وأضاف حقلاً ثامناً أورد فيه ما تمت كتابته عن مايرهوف حتى وقتئذ. ثم أورد تحت اسم كل حقل قائمة بالأعمال التابعة له مرتبة بحسب سنوات النشر ومشيراً إلى عدد الصفحات،

وبعض أعماله لم يكن يتجاوز الصفحة أو الصفحتين. وعند النظر إلى هذه القائمة يمكن تتبع علاقة مايرهوف بالتراث الطبي العربي في ميادين طب العيون وتاريخ الطب والعلوم الطبيعية والاستشراق[57].

ويستفاد من تلك السير أن علاقة مايرهوف بالتراث الطبي العربي بدأت فور إقامة مايرهوف الأولى في مصر، فبعين الفاحص الخبير أخذ يتفحص أمراض العيون وعادات الناس في الاستشفاء منها، وبدأ يكتب عن تلك الأمراض وينشر أبحاثه في المجلات المختلفة، كما أخذ يتعلم العربية ويتضلع في قواعدها حتى أتقنها عامية وفصحى، وبعد سنتين فقط من إقامته في مصر، وبالتحديد عام 1905م، بدأ مايرهوف البحث عن مخطوطات قديمة غير منشورة وعن مخطوطات يعتقد بوجودها ولم تظهر حتى ذلك الحين، وكان دافعه لذلك أول الأمر رغبته في استكمال بعض النقص الذي لا حظه في مؤلف الطبيب الألماني هيرشبيرج الشامل حول "تاريخ طب العيون عند العرب"، الصادر عام 1908م، فألفى نفسه بعد ذلك منشغلاً بشأن البحث العلمي المتمثل في تاريخ الطب العربي كله بل العلوم عند العرب، ويبدو أن انكشاف الأسرار العلمية المدهشة أمام عينيه استهواه بقوة ووجد فيه متعة قصوى، وهذا هو التفسير الذي يمكن تقديمه لفهم مثابرته اللافتة وقدرته الفائقة على التوفيق بين عمله طبيباً للعيون في النهار وباحثاً علمياً نشطاً في الليل، فظهرت أبحاثه بلغات عدة وكان لافتاً أنها ذات قيمة علمية راقية ببعد عالمي.[58]

ويذكر مايرهوف في مقدمة تحقيقه لكتاب " العشر مقالات في العين" لحنين بن إسحاق أنه وجد كثيراً مما يبحث عنه في المكتبات المعروفة حينئذ، مثل المكتبة الخديوية ومكتبة الجامع الأزهر والمكتبة الخاصة الكبرى لأحمد تيمور، ومكتبة جورج صبحي، أستاذ الطب في الجامعة المصرية، الذي كان يتوفر على عدد وفير من المخطوطات العربية[59]. هذه المكتبات وغيرها من مصادر المعرفة مهدت له – لا ريب – طريق الشهرة العالمية عبر أعماله المميزة والجديدة.

اقتصرت اهتمامات مايرهوف في البداية على طب العيون وممارساته

القديمة وعلى ما له علاقة بتاريخه، وحصل معارف عامة عن تاريخ مصر الحديث، وعن شعبها وعاداته وتقاليده، وفي فترة استقراره الثاني في مصر من عام 1923م حتى نهاية الحرب العالمية الثانية 1945م تطورت اهتماماته بشكل جذري وتنوعت أنشطته العلمية، إذ لم يعد الهم الأول في أبحاثه منصباً بشكل غالب على طب العيون عند العرب بل تجاوز ذلك إلى الانشغال بتاريخ الطب العربي كله والعلوم العربية. وهي الفترة الخصبة التي أنجز فيها سيلاً من دراسات جادة وبارزة.[60]

يذكر شخت في تقويمه لهذه الدراسات أن بعضها يتصف بالدقة ووفرة التفاصيل، وبعضها يغلب عليها المسح الشامل الذي يكشف تضلع مايرهوف في الحقل كله، ومنها أيضاً تحقيقات مهمة لنصوص نشرت غالبها بترجمات وتعليقات كاملة. وربما كان الأجود بين هذه الدراسات، تلك التي تختص بمشكلة أو بكاتب أو كتاب، فيتتبع تفاصيلها ويبرز فيها أفقه العلمي كله مستعيناً بخلفيته التاريخية الواسعة. وقد مكنته اللغات التي حصَّلها مثل السريانية والفارسية والتركية من التعمق في أبحاثه وإثارة أسئلة متعلقة بفقه اللغة[61]، وهو المنهج المفضل عند جل مستشرقي ذلك الوقت، ولاسيما الألمان منهم، ولا يزال هذا المنهج قائماً في بعض الدراسات في أيامنا وإن فقد بريقه وأولويته. وقد عزز مايرهوف علاقته بمستشرقين مرموقين في زمنه وعمل على تأمين تعاونهم معه، وكان من بينهم شخت الذي يعتز بصداقته له ويقيم عالياً تجربته الشخصية في التعاون معه في الفترة الأخيرة من مشواره العلمي، ويعد هذا التعاون تشريفاً ومتعة وواجباً لكل من شرف بتقديم ذلك التعاون.[62]

ويهمنا في هذا البحث ماله صلة بتراث العرب والمسلمين الطبي من أعمال مايرهوف، وهو ما سنحاول استعراضه مجملاً، معتمدين في ذلك على العرض الموجز الذي قدمه رف في رسالته المشار إليها. وعلى الرغم من الإيجاز الشديد فإن رف تمكن بنجاح من عرض اكتشافات مايرهوف وشهاداته على تراث العرب والمسلمين وعلاقة هذا التراث بالإرث اليوناني القديم، في حقول الطب والصيدلة والنبات والترجمة، ويستطيع المختصون العودة إلى

أمهات أعماله إن رغبوا في التعمق في مسألة من المسائل. ولابد قبل ذلك من الإشارة إلى فكرة يذكرها رف وهي أن هدف مايرهوف كان كتابة تاريخ للطب العربي، وأنه كرس جل طاقته لهذا الهدف[63]، لكن رف لم يفصل في هذه الفكرة، فأعمال مايرهوف المتفرقة تقع كلها في إطار تاريخ الطب عند العرب والمسلمين لكنه لم يبدأ كتاباً خاصاً منذوراً لهذه الفكرة على نحو تسلسلي كما يتوقع في كتاب تاريخ، وليس من أثر يعتد به على البدء بكتابة تاريخ للطب، ولعله – وقد تكشفت أمام ناظريه أصول العلم العربي ومساراته وثماره – كان ينوي فعل ذلك كمشروع ختامي، لو أمهله الأجل قليلاً.

قسم رف إنجازات مايرهوف العلمية إلى مجالين كبيرين، الأول مجال طب العيون، والثاني مجال تاريخ الطب. ويهمنا في هذا البحث أن نستعرض إنجازات مايرهوف بوصفه مؤرخاً للطب العربي؛ لأن ما أنجزه حول طب العيون وأمراض العيون من أبحاث علمية يقع في الحقل الطبي البحت المعاصر له، وقد غيرت أبحاثه بعض نظريات العلم في هذا السبيل[64].

إسهامات مايرهوف الأساسية في التراث الطبي العربي

من الإسهامات المميزة والمبكرة لمايرهوف عثوره على المخطوط الأصل لكتاب الطبيب والمترجم العربي المشهور حنين بن إسحق (808– 873م)، بعنوان "كتاب العشر مقالات في العين، "، ثم قيامه بتحقيقه وترجمته ونشره عام 1928م، وتظهر مقدمة التحقيق التي كتبها مايرهوف لهذا الكتاب طبيعة الجهد والشغف اللذين مارس بهما مايرهوف نشاطه العلمي في التراث الطبي العربي، كما تظهر أيضاً دقة مايرهوف العلمية واستقصاءه لجميع المعلومات المتعلقة بحنين بن إسحاق شخصياً وإنجازاته العلمية، وتعد السيرة الضافية التي كتبها مايرهوف لأشهر طبيب ومترجم في عصره حنين بن إسحاق، أشمل سيرة عرفتها اللغات الأوروبية حتى ذلك الحين، وفي المقدمة المشار إليها تبرز أيضاً جهود من سبقه من المستشرقين والأطباء في تعرف جهود العرب والمسلمين في ميدان الطب.

في هذه المقدمة يشير مايرهوف إلى كتاب أستاذ طب العيون الألماني في جامعة برلين هيرشبيرج (1843–1925) بعنوان " تاريخ طب العيون، والمشتمل على سبعة مجلدات صدرت خلال خمس وعشرين سنة من حياة هيرشبيرج، ويهمنا هنا الإشارة إلى أن المجلد الذي حوى فصولاً عن تاريخ طب العيون عند العرب صدر عام 1908م، إذ يذكر مايرهوف أن فضل اهتمامه بتراث الطب العربي إنما نجم عن اطلاعه على كتاب هيرشبيرج الذي أظهر أن طب العيون عند العرب بلغ مرتبة سامية مدهشة في القرنين الرابع والخامس الهجريين[65]. وامتدح مايرهوف هيرشبيرج في هذه المقدمة بما يستحقه فذكر أنه صرف خمس سنوات في تأليف القسم الخاص بطب العيون عند العرب، وأنه في سبيل ذلك بحث عن عشرات المخطوطات العربية والفارسية وعهد بها لمستشرقين ثقات يترجمون له ما فيها، وقد مكنه هذا الدأب العلمي من تتبع بدايات العلوم الطبية ومصادرها ومنها طب العيون، كما مكنه من الوقوف على عصر الترجمة العباسي ودعم خلفاء هذه الفترة للجهود العلمية في هذا السبيل[66]، وتمكن من إحصاء ما يزيد على اثنين وثلاثين كتاباً في طب العيون ومثل هذا العدد من الأطباء وستة أقسام في طب العيون اشتملت عليها الموسوعات الطبية العربية التي كانت قد ترجمت إلى اللاتينية في عصر النهضة مثل موسوعات الرازي، مؤلف "الحاوي في الطب"، وابن سينا، مؤلف "القانون في الطب"، وأبي القاسم الزهراوي، مؤلف "التصريف لمن عجز عن التأليف"[67].

وفيما يخص "كتاب العشر مقالات في العين" الذي ينسب لحنين بن إسحاق ذكر مايرهوف أن هيرشبيرج، وبفضل حذقه لفقه اللغات، فطن إلى أن كتاب حنين بن إسحاق " كتاب العشر مقالات في العين" يوجد تحت اسم مستعار في ترجمتين لاتينيتين مختلفتين ظهرتا في العصور الوسطى أولاهما باسم كتاب (جالينوس في العين) نقلها عن العربية دميتريوس، والثانية باسم (كتاب قسطنطين الإفريقي، Constantinus Africanus)، في العين[68] ولا يذكر هنا ماكس مايرهوف ما أثبتته بعدئذ أبحاث جادة بينت أن قسطنطين الإفريقي كان يترجم عن العرب وينسب إلى نفسه ما يترجم مثلما فعل مع مؤلفات ابن الجزار

القيرواني، لكن هذه الإشارة التي ينقلها مايرهوف هنا عن هيرشبيرج واحدة من القرائن القديمة حول سرقة المؤلفات العربية ونسبتها إلى غير أصحابها، وهو فعل لم يعرفه العرب قط في كل ترجماتهم فلم ينسبوا لأنفسهم حرفاً مما ترجموه بل تعاملوا مع عقول غيرهم باحترام وأمانة، وتلك واحدة من أبرز شمائل العقل العربي لذلك الوقت.

والخلاصة أن هيرشبيرج تمكن من التدليل على صحة ذلك عن طريق مقارنة ما ورد من نصوص منسوبة لحنين في كتاب الحاوي للرازي، وأنها هي بعينها وردت بعدئذ في الترجمات اللاتينية منسوبة تارة لجالينوس وأخرى لقسطنطين الإفريقي، كما أن ترتيب الموضوعات الوارد في الترجمتين اللاتينيتين هو نفسه الترتيب الوارد في كتاب حنين بن إسحاق كما يرد عند ابن أبي أصيبعة في كتاب " عيون الإنباء في طبقات الأطباء"، واستخلص هيرشبيرج أيضاً أن كتاب العشر مقالات لحنين هو أقدم كتاب في بابه وأن المتأخرين من الأطباء إنما كانوا له نقلة أو شراحاً.[69]

ومع أن مايرهوف بدأ نشاطه العلمي وبحثه عن المخطوطات القديمة عام 1905م؛ أي بعد استقراره في القاهرة بعامين كما يذكر رف، فإن مايرهوف يؤكد في هذه المقدمة أنه بعد صدور كتاب هيرشبيرج السالف الذكر أخذ يبحث وينقب في المكتبات الشرقية للعثور على أصول بعض الكتب المفقودة التي تمكن من ملء الفراغات التاريخية والحلقات المفقودة في كتاب هيرشبيرج[70]. وقد عثر مايرهوف على مخطوطات كثيرة في دار الكتب الخديوية ومكتبة البلدية في الإسكندرية وفي مكتبات خصوصية في القاهرة وبيروت ودمشق وحلب، كما تمكن من شراء بعض المخطوطات لمكتبته الخاصة. وأشهر المكاتب الخصوصية وأغناها هي مكتبة أحمد تيمور باشا؛ ففيها عثر مايرهوف على مخطوطات قديمة عن طب العيون عند العرب بل امتد بحثه إلى أكاديمية العلوم بمدينة لينجراد وتمكن من الحصول على صورة فوتوغرافية للنسخة الخطية الموجودة هناك بمساعدة المستشرق الروسي الكبير أغناطيوس فلاديمير كراتشكوفسكي[71]، ومن خلال هذا البحث عن مخطوطات عربية حول طب

العيون أعد مايرهوف قائمة بالمخطوطات العربية وأثبتها في مقدمة التحقيق الذي نعرضه الآن، وقد بلغت العناوين التي أثبتها 17 عنواناً، من بينها "كتاب العشر مقالات في العين" لحنين بن إسحاق الذي يعد أهم كشف علمي قام به مايرهوف.[72]

كما وقف مايرهوف أيضاً على كتاب آخر تعليمي لحنين بن إسحاق ألفه لولديه، كما وقع في يد مايرهوف أيضاً أقدم كتاب تعليمي معروف حتى ذلك الوقت حول طب العيون، وهو الكتاب الذي ألفه الطبيب المسيحي يوحنا بن ماسويه (777–857)، الذي كان مديراً لمستشفى في بغداد وأستاذاً لحنين بن إسحاق[73]، بالإضافة إلى مخطوطات حول طب العيون تعود لثابت بن قرة الحراني (836–901) وإبراهيم بن بختيشوع مما لم يكن معروفاً حتى زمن مايرهوف، وأوصاف لعمليات شفط الماء الأبيض من العين كتبها الطبيب عمار بن علي الموصلي[74].

ويذكر رف أن مايرهوف كرس جهداً خاصاً لعلم الصيدلة عند العرب وعلم النبات، وانشغل بقوة بعلم الأدوية في كتابات الجغرافي العربي الإدريسي (1100–1166)، الذي ألف كتاب " الجامع لأشتات النبات" وكتابات الطبيب الأندلسي المسلم أحمد الغافقي (ت1165م)، مؤلف كتاب الأدوية المفردة، وفي كتابات عالم الطبيعيات الكبير أحمد البيروني (972–1048)، وكتابات الطبيب اليهودي وعالم اللاهوت موسى بن ميمون Maimonides.[75]

وقد اقتفى مايرهوف أثر علم الأدوية العربي ووصل إلى جذورها الإغريقية عند ديسقوريدس Discorides الذي أفرد له ابن النديم مكاناً في فهرسه[76]، ويعد الأب الأصلي لعلم الصيدلة العربي[77]. وفضلاً عن ذلك تتبع مايرهوف تأثيرات علم الأعشاب العربي وعلم الأدوية على معارف علم الصيدلة في أوروبا القروسطية، ووجد أدلة تلك التأثيرات خصوصاً في مفردات اللغتين الأسبانية والبرتغالية، ولا تزال بعض الأعشاب وبعض المسميات الطبية تحمل إلى اليوم أسماءً تشير إلى أصلها العربي.

ومن أعماله العلمية تتبعه للأطباء اليهود وإنجازاتهم في الحضارة

الإسلامية، وقد اهتم بشكل خاص بأعمال موسى بن ميمون وأهاب بمواقفه الناقدة من تعاليم جالينوس الطبية، كما تتبع بإسهاب إسهامات العرب واليهود في مجال النباتات والصيدلة عند تحقيقه لكتاب" شرح أسماء العقار" لأبي عمران موسى بن ميمون.[78] كما اهتم أيضاً بأطباء العيون المسلمين وأخرج تقريراً جامعاً عن علم البصريات عند العرب "Optik der Araber" عرض فيه لأكثر من ثلاثين عالماً برزوا في مجالات طب العيون والترجمة والرياضيات وفلسفة الطبيعة والموسوعات العلمية.[79] وبالتعاون مع المستشرق غوستاف فيدمن Gustav Wiedmann، أفرد مايرهوف مكاناً خاصاً للفيزيائي وعالم البصريات العربي ابن الهيثم (965–1038)، وعرَّف بمكانة ابن الهيثم وإنجازاته في مجال الفيزياء والبصريات.[80] وبالتعاون مع المستشرق يوسف شاخت ترجم ونشر 33 وصفا لحالات مرضية كتبها أبو زكريا الرازي (856–925)، أبرز أطباء الحضارة الإسلامية، ووشاها بتشخيصات معاصرة ووجد بينها وصفاً لمحاولة علاج التهاب القرنية القيحي الحاد.[81] كما اهتم بمصنف فردوس الحكمة لابن ربن الطبري (عاش في القرن الثالث الهجري)، وقام بتقديم عرض تفصيلي له، ويعد كتاب "فردوس الحكمة" من أقدم المصنفات التي حفظت كاملة والمؤلفة في القرن التاسع الميلادي.[82] ولم ينس مايرهوف ابن النفيس (1210–1288م)، وهو من أبرز الأطباء العرب في العصر الوسيط وله قيمة خاصة عند مايرهوف بسبب اكتشافه للدورة الدموية الصغرى، وهو الاكتشاف الذي ظهر في كتابات الأسباني ميشائيل سيرفيتوس عام 1553م، وكتابات البريطاني ويليام هارفي عام 1628م (وسنعود لقصة هذا الاكتشاف في مكان آخر من هذه الدراسة). وقد عارض ابن النفيس آراء جالينوس وابن سينا حول سير الدم بين بطيني القلب وقرر أن الدم لا ينتقل بين البطينين مباشرة لانعدام وجود فتحات بينهما وإنما يصل الدم من البطين الأيمن إلى البطين الأيسر عبر الرئة وهو الاكتشاف الذي يعرف بالدورة الدموية الصغرى. وقد بجل مايرهوف هذا الاكتشاف بقوله: "يكفي ابن النفيس مجداً أنه امتلك الشجاعة كي يدافع عن نظريته هذه بكلمات واضحة ضد قامات عصره العلمية البارزة، جالينوس وابن سينا، هذا الاكتشاف

يضع ابن النفيس في صف المفكرين المستقلين في الحضارة الإسلامية، وهم ليسوا كثيرين، وهو يستحق التقدير الاستثنائي لأن القرن الثالث عشر الميلادي كان قرن الانحطاط الفكري في العالم الإسلامي الذي يمكن للمرء مقارنته بعصر الموسوعيين الهللينيي"[83]، لكن وجود هذا العدد الوفير من العلماء، وخاصة في ميدان الطب، يخفف كثيراً من وطأة وصف القرن الثالث عشر بقرن الانحطاط.

ومن إنجازات مايرهوف البارزة تحقيق ونشر كتاب ابن النفيس بعنوان "الرسالة الكاملية في السيرة النبوية"، وهو عمل اشترك به مع صديقه المستشرق يوسف شخت، وقد ظهر الكتاب ضمن منشورات جامعة أكسفورد عام 1968م[84].

ومن إنجازاته أيضاً ترجمته لمخطوط الطبيب علي بن رضوان (980-1061)[85] الذي عاش في القاهرة، بعنوان" في دفع مضار الأبدان بأرض مصر"، وهو مخطوط يتحدث عن علاقة هواء القاهرة وطقسها بالصحة في القرن الحادي عشر، وبظهور هذا الكتاب يمكن إجراء مقارنات بين هواء القاهرة وطقسها في القرن التاسع قديماً وأي زمن لاحق ومنه زمن مايرهوف. وقد قام فعلاً طبيب ألماني آخر هو كلونزنجر Klunzinger.[86] بإجراء هذه المقارنة في القاهرة أوائل القرن العشرين.

بعد موت مايرهوف بثلاث سنوات ظهرت ترجمته لكتاب علي بن رضوان إلى الإنجليزية مع تحليل لمقتطفات من كتاب "تتمة صوان الحكمة" لمؤلفه علي البيهقي (1106-1170)، وقد نشر الكتاب باللغتين العربية والفارسية، وهو سجل شامل لسير عدد وفير من الفلاسفة المسلمين.[87] كما تتبع مايرهوف في كتابات عدة الروابط بين الثقافتين العربية والإغريقية وتاريخهما الفكري، وبشكل خاص اهتم بمصير "مدرسة الإسكندرية" وهي جامعة إغريقية من عصر ازدهار العلم الهللينستي، التي كانت لا تزال قائمة عند دخول العرب إلى مصر عام 642م ويرى مايرهوف أن هذه المدرسة لعبت دوراً مهماً في انتقال علوم اليونان إلى العرب.[88] وأنها؛ أي مدرسة الإسكندرية انتقلت في زمن السيادة العربية لأسباب غير معروفة من الإسكندرية إلى أنطاكية عام 718م، ثم انتقلت من هناك

إلى حران في الهلال الخصيب عام 850م، وبعد تأسيس بغداد بدأت ترجمات التراث اليوناني إلى العربية والسريانية.

ومن الأفكار المهمة التي يستعرضها رف في تقديمه للسيرة العلمية لمايرهوف، التي أرى أنها تستحق الإبراز هنا، تتبعه لبدايات الترجمة من العربية إلى اللاتينية وأنها بدأت في النصف الثاني من القرن الحادي عشر، وتأكيده فضل العرب بوصفهم حفاظاً وحملة للعلم اليوناني القديم، وهو الفضل الذي نسي بعد بدايات عصر النهضة، واستمر النسيان إلى نهاية القرن الثامن عشر، حيث انتعشت ثانية الذاكرة الغربية وبدأت بذكر فضل علماء الشرق، ويضيف رف أن الاهتمام الحقيقي العلمي المعمق بعلوم العرب لم يبدأ إلا في منتصف القرن التاسع عشر حين بدأ المستشرقون الأوروبيون يبرزون دور العلماء العرب في الحضارة الإسلامية وأثرهم على الغرب.[89] ومن هؤلاء مايرهوف الذي صرف نصف عمره باحثاً في الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط بطاقة لافتة وعناية مخلصة. وقد عثر مايرهوف في مكتبات الشرق والغرب على مخطوطات منسية فأخضعها للدرس والتحليل الدقيقين، وبذلك أثرى المادة التاريخية المصدرية وأسهم في إعطاء العلماء المسلمين مكانتهم المستحقة في تاريخ العلم.[90]

ثالثاً – ابن النفيس والتطاوي ومايرهوف

منذ عرف ابن النفيس (607 – 687هـ/ 1210 – 1288م) مكتشفاً للدورة الدموية الصغرى في الثلث الأول من القرن العشرين، ظهرت كتابات كثيرة تؤرخ له وتدرس آثاره العلمية المتنوعة، لكن الفضل الأول والأخير في إبراز أهمية ابن النفيس وأهمية اكتشافه للدورة الصغرى تحديداً يتقاسمه اثنان، الأول هو الطبيب العربي المصري محيي الدين التطاوي الذي تنبه إلى أسبقية ابن النفيس في وصف الدورة الدموية وهو يقلب المخطوطات لإعداد رسالة دكتوراه قدمها إلى جامعة فرايبورج بألمانيا عام 1924، والثاني هو ماكس مايرهوف الذي عهد إليه بأطروحة التطاوي للتحقق من هذا السبق العلمي، فأخرج دراسة مفصلة عن ابن النفيس وعصره عام 1933 أكد فيها اكتشاف التطاوي لأسبقية ابن النفيس في

وصف الدورة الدموية الصغرى، وأكد أن هذا الاكتشاف يلغي أسبقية الأسباني سيرفيتوس في وصفه العلمي للدورة الرئوية الصغرى وهو الرأي الذي كان سائداً ومتداولاً في الأوساط العلمية الأوروبية تحديداً حتى ظهور اكتشاف التطاوي، وأكثر من ذلك، فقد رجح مايرهوف طرقاً يمكن أن تكون هي التي أدت إلى معرفة آراء ابن النفيس تلك في أوروبا، لتظهر بعد ذلك في دراسات للأسباني سيرفيتوس، ولينظر إليه هو، لا ابن النفيس بوصفه رائد اكتشاف الدورة الدموية الصغرى. منذ ذلك التاريخ، أي منذ معرفة أهمية ابن النفيس والكتابات تتوالى عنه وعن آثاره العلمية في طب العصور الوسطى الأوروبي.

فيما يلي سنحاول عرض قصة الاكتشاف وتوابعه، والقصد من ذلك إبراز دور مايرهوف على نحو تفصيلي وعدم الاكتفاء بذكر دوره بوصفه خبراً عابراً كما يرد عادة هنا وهناك، لأن ما بذله مايرهوف من جهد علمي للتعريف بابن النفيس ومكانته وما أبداه من حياد وموضوعية علمية يستحقان الإشادة والتقدير. وعلى ضوء التفصيل المرجو يمكن مناقشة بعض الكتابات التي ضخمت استخلاصاً لمايرهوف بشأن العلاقة بين ابن النفيس وابن أبي أصيبعة، وجعلته مسألة خلافية بارزة يتم عبرها، دون وجه حق، كما سأبين، خلق انطباع بوجود نية سيئة مبيتة لدى مايرهوف، دفعته لتصوير خصومة واقعة بين ابن النفيس وابن أبي أصيبعة لتكون سبباً لغياب ترجمة ابن النفيس في كتاب ابن أبي أصيبعة المنشور.

قصة اكتشاف الإنجاز العلمي لابن النفيس نجدها مروية بأمانة علمية راقية عند مايرهوف في بحثه الموسوم "ابن النفيس ونظريته في الدورة الرؤية" وهوالبحث المنشور عام 1933م في المجلد الرابع من مجلة " مصادر ودراسات حول تاريخ الطب والعلوم الطبيعية "Quellen und Studien zur Geschichte der Medizin und der Naturwissenschaften" الصادرة عن معهد تاريخ الطب والعلوم الطبيعية في برلين. في هذا البحث يروي مايرهوف أنه في عام 1930 بينما كان يزور معهد تاريخ الطب المؤسس حديثاً في برلين، تسلم نسخة من مدير المعهد لرسالة دكتوراه أعدها طبيب مصري شاب يدعى محيي الدين التطاوي وقدمها في جامعة فرايبورج عام 1924م، وكان الغرض من تسليم ما

يرهوف هذه النسخة هو التأكد مما زعمه الطبيب المصري بقوله إن ابن النفيس هو مكتشف الدورة الدموية الصغرى وليس الأسباني سيرفيتوس الذي جاء بعد ابن النفيس بنحو ثلاثة قرون، ولا الإنجليزي هارفي الذي جاء بعد ابن النفيس بنحو أربعة قرون أيضاً.

وقد تحقق مايرهوف بنفسه من صحة اكتشاف الطبيب المصري، وأكد أن ابن النفيس قدم وصفاً مغايراً لما قدمه ابن سينا حول تشريح الجسم البشري، وهو الوصف الذي لم يخرج أصلاً عن آراء جالينوس في التشريح. ويذكر مايرهوف أنه قام بتقديم قراءة لرسالة التطاوي كي لا يطويها النسيان، وسلم نسخة من تلك القراءة لجورج سارتون الذي أدرجها في المجلد الثاني من مصنفه الضخم " تاريخ العلوم "[91]. لكنه في هذا البحث الذي نستعرض يذكر أنه حائز على نسخ من مخطوطات ابن النفيس التي قدم فيها شروحه وأنه حصل عليها بالشراء والتصوير من مكتبات برلين بين عامي 1930 و 1933، وهو ما مكنه من تقديم قراءة كاملة لأعمال ابن النفيس وتقدير أهمية اكتشاف التطاوي ووضعه في السياق الجدير به في تاريخ العلم. وبعد تقديم قصة الاكتشاف هذه ونبذة مختصرة عن سيرة مكتشف الاكتشاف التطاوي، يقدم مايرهوف عرضاً علمياً لأحوال الأطباء في دمشق في القرن الثالث عشر الميلادي مستعيناً بما عرف من كتابات في زمنه وأهمها كتابات ليكلرك Leclrec، مؤلف كتاب "تاريخ الطب العربي"، وهو الذي يذكر أن القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري)، على عكس المشهور، كان قرن ازدهار علمي وخاصة في مجال الطب. ويبدي مايرهوف استغرابه من التقدم العلمي في هذا القرن على الرغم من الحروب والمعارك الطاحنة في بلاد الشام بين الأسر الحاكمة من جهة وبينها وبين الصليبيين والمغول من جهة ثانية، ثم يذكر أن ابن أبي أصيبعة مؤلف كتاب "عيون الإنباء في طبقات الأطباء" عاش في هذا القرن المضطرب وفي دمشق، ولذلك تتوافر معلومات جيدة عن هذه الفترة؛ لأن ابن أبي أصيبعة عرف شخصياً أبرز أطبائها.

ويرى مايرهوف أن اللبنات الأولى للازدهار اللاحق وضعها حاكمان

مهمان في هذه الفترة هما: نور الدين زنكي (1146–1173)، وصلاح الدين الأيوبي (1174–1193)، إذ شيد الأول مشفى ضخماً في دمشق عرف بالبيمارستان النوري ظل يعمل حتى عام 1899، وحول الآخر جزءاً من قصر فاطمي كبير في القاهرة إلى مشفى عرف بالبيمارستان الناصري[92]. في هذا البيمارستان الناصري عمل ابن أبي أصيبعة طبيباً للعيون مع أطباء آخرين مشهورين. ثم يواصل مايرهوف تقديم إطار تاريخي يمهد به لظهور ابن النفيس ويذكر أن البيمارستانين في دمشق والقاهرة ظلا يعملان تحت السيادة الأيوبية وبعد ذلك تحت السيادة المملوكية التي أعقبت الفترة الأيوبية مباشرة، وأن حكام هذه الفترة شجعوا الدراسات الطبية وأحاطوا أنفسهم بأطباء خصوصيين، وشيد السلطان المملوكي المنصور قلاوون (1281–1284) مشفى عرف بـ "البيمارستان المنصوري"، وحاز شهرة واسعة في أرجاء العالم الإسلامي وكانت آثاره لا تزال باقية حتى زمن مايرهوف وفيه عيادة عاملة لطب العيون[93]. وبحكم الترابط السياسي بين دمشق والقاهرة فقد تنقل الأطباء بين مستشفيات القطرين واستفادوا من علوم بعضهم كما يظهر ذلك في السير التي أوردها ابن أبي أصيبعة وما خلفه أطباء هذه الفترة من كتابات. ويتتبع مايرهوف جذور المدرسة الطبية لكل من دمشق والقاهرة ويؤكد أنها امتداد للطب الذي أخذ يتطور في بغداد حتى القرن الثاني عشر الذي شهد انتقال بعض الأطباء من هناك إلى دمشق ليؤسسوا للمدرسة الطبية بها، ومن أبرزهم رضي الدين الرحبي وفخر الدين المارديني وابن المطران ومحيي الدين عبد الرحمن المعروف بالدخوار وهو أحد أساتذة ابن النفيس وابن أبي أصيبعة البارزين، وقد استرسل مايرهوف لهذا السبب في إعطاء سيرة ضافية للدخوار[94]، وأبدى في خاتمة استعراضه استغراباً من خلو كتاب ابن أبي أصيبعة من سيرة لابن النفيس على الرغم من المعاصرة والزمالة بين الاثنين في دمشق والقاهرة، وهو استغراب أسلمه إلى ترجيح فكرة أن الرجلين لم يكونا على وفاق بسبب التنافس والطموح وهو ما يوجد في كل عصر وأوان[95].

بعد هذا الاستعراض يقدم مايرهوف سيرة مفصلة لابن النفيس: علمه

ومؤلفاته الطبية والفقهية والفلسفية والقانونية وشروحه لكتب أبقراط وجالينوس وابن سينا وطرق تأليفه وعلاجه للأمراض[96]، ويبدأ بمناقشة ضافية لاسمه ولقبه "القُرَشِي"، أو "القَرْشي"، مستعيناً بما توافر لديه من مصادر، وهو مشكل لا يزال يتردد في الكتب الحديثة التي تؤرخ لابن النفيس[97]، وتكفينا هنا الإشارة لذلك لتأكيد حرص مايرهوف على التفاصيل الخاصة بابن النفيس لعلو كعبه عنده.[98]

بعد العرض المفصل لسيرة ابن النفيس وإنجازاته العلمية يكرس مايرهوف باقي البحث للشرح والتعليق الذي قدمه ابن النفيس على آراء ابن سينا في التشريح في كتابه القانون في الطب، وهي الشروح التي ضمنها ابن النفيس كتابه الموسوم " شرح كليات القانون"، ويظهر الكتاب المخطوط أحياناً تحت عنوان آخر هو "شرح تشريح القانون لابن سينا" وهو موجود في مكتبة برلين تحت رقم 6272. ويستعرض مايرهوف بعد ذلك طرق عرض ابن النفيس لآراء ابن سينا وكيف يتبعها بآرائه وتعليقاته وكيف قسم ابن النفيس كتابه إلى مدخل ومباحث. ولا يستغني مايرهوف عن ذكر مخطوطات هذا الكتاب وأرقامها في مكتبات باريس وبرلين وأكسفورد والأسكوريال، وأن المخطوط الذي اطلع عليه التطاوي تحت رقم M.F.912 حديث نسبياً، فقد نسخ في النصف الأول من القرن الثامن عشر من قبل أحد الأتراك، ويذكر مايرهوف أن إحدى المخطوطات التي بين يديه يرجع تاريخ نسخها إلى عام 730 هـ (1330م)؛ أي أن ما يفصلها عن مؤلفها من زمن هو فقط 42 سنة شمسية.[99] ومايرهوف، وهو يبذل كل هذا الجهد العلمي في التأكد والتدقيق والمقارنات والوصف للمخطوط إنما يريد الاستقصاء والتيقن والاعتماد في تثبته من اكتشاف التطاوي على أقدم المخطوطات لنفي أي شك بنسبة المخطوط وما فيه إلى مؤلفه ابن النفيس ولتأكيد صحة نسبة الاكتشاف لصاحبه على أسس علمية متينة.

وقبل البدء باستعراض شرح ابن النفيس لآراء ابن سينا، يعرض مايرهوف طبيعة المعارف المتداولة عن القلب ودورة الدم كما تظهر عند جالينوس وابن سينا، حيث تبنى الثاني آراء الأول وأضاف إليها أخطاء أخرى من عنده، وظلت

آراؤهما الخاطئة هي السائدة قروناً، حتى جاء ابن النفيس ورفض تلك المعارف وقدم وصفاً علمياً جديداً للدورة الدموية ثبتت صحته المطلقة، ليس على أساس التشريح كما يذكر مايرهوف ذلك - مصدقاً قول ابن النفيس بأنه لم يشرح لتحرجه من شبهة الحرام في التشريح[100]- بل على أساس منطق نظري بحت وهو ما يعزز عبقرية الرجل ويضمن له تبجيلاً خاصاً.

يقدم مايرهوف في بحثه هذا ترجمات أنجزها مع صديقه المستشرق المعروف يوسف شاخت[101] لمقاطع[102] من شروح ابن النفيس ليقف القارئ مباشرة على موقف ابن النفيس من قضية التشريح وأنه يراها محظورة، ثم كيف يتدرج في عرض آراء ابن سينا ويرد عليها ليصل إلى استنتاجه الدقيق لمسار الدورة الدموية الصغرى، وبهذا يصل مايرهوف إلى تأكيد الإنجاز العلمي الذي اكتشفه التطاوي في أطروحته المشار إليها، وقرر فيها أن ابن النفيس اكتشف الدورة الدموية قبل الأسباني سيرفيتوس بثلاثة قرون وأن الوصف الدقيق والصحيح الذي قدمه ابن النفيس للدورة الرئوية كانت مقدمة لاكتشاف الدورة الدموية الكبرى.

ثم يتساءل مايرهوف كيف أمكن لابن النفيس أن يتوصل إلى هذا الوصف الدقيق عن الدورة الدموية، وفي اجتهاده لتقديم إجابة شافية يذكر أن ابن سينا تعامل مع آراء جالينوس في التشريح بعقل فلسفي أكثر منه طبياً، وأن هذا قاده إلى أخطاء كثيرة، وأن هذه الأخطاء هي التي حاول ابن النفيس تصويبها على أساس معارف جالينوس وفهمه هو لها، ثم استنتج من داخل أوصاف جالينوس الأخطاء التي وقع فيها جالينوس نفسه، ومن جماع تلك الاستنتاجات برز الوصف الدقيق للدورة الصغرى الذي قدمه ابن النفيس، وهو بهذا الوصف يعارض ويصوب آراء ابن سينا وجالينوس معاً، وإن كانت اكتشافاته تعتمد أساساً على الأسس التشريحية التي قدمها جالينوس. بهذه الاستنتاجات يريد مايرهوف تأكيد فكرة أن المعارف الإسلامية في الطب، كما تظهر في كتابات كثيرة،[103] قد اعتمدت كلياً على تراث اليونان وجالينوس خاصة وأنه بفضل هذه المعارف تم التمكن من تصويب أخطائها، وهو قول بدهي في الواقع لا يحتاج إلى شديد

تأكيد لبداهة توالد الأفكار بعضها من داخل بعض، وهو الطريق الطبيعي لتطور العلم. لكن مايرهوف يعود إلى إكبار ابن النفيس والثناء على شجاعته العلمية وعده بين القلة من المفكرين المستقلين في العالم الإسلامي.[104]. وعلى ضوء ما تقدم يؤكد مايرهوف عدم صحة الرأي السائد بأن تطوراً لم يحدث في مجال الدورة الدموية منذ جالينوس في القرن الثاني بعد الميلاد حتى ظهور نظرية سيرفيتوس الأسباني أواسط القرن السادس عشر، وأن ما وقف عليه التطاوي من إنجاز لابن النفيس يكذب الرأي السائد حتى آنئذ.[105].

اكتشاف ابن النفيس وصداه العلمي

لا يقف مايرهوف عند حد تأكيد اكتشاف التطاوي لإنجازات ابن النفيس، بل يمضي متتبعاً الأثر المحتمل لتصويبات ابن النفيس على جالينوس وابن سينا في الشرق الإسلامي وفي أوروبا، ويفرد لذلك عنواناً خاصاً سماه "الدورة الدموية لابن النفيس وسؤال التأثير المحتمل" ويقرر مايرهوف باستغراب حقيقة مؤلمة وهي أنه في الشرق الإسلامي، موطن اكتشافات ابن النفيس، لم يجد، بين ما توافر لديه من مخطوط ومطبوع من كتب الطب، أثراً لهذا الاكتشاف في الكتابات التي ألفت بعد ابن النفيس[106] وخاصة في التشريح ومنها مؤلف منصور ابن محمد بن إلياس حول التشريح في نهاية القرن الرابع عشر 1396م، والذي اقتفى أثر علي بن العباس قبله مؤلف كتاب " كامل الصناعة الطبية" وقبل ابن النفيس، كما أن الشروح الطبية المطبوعة لم تتضمن فصولاً حول التشريح، ومنها كتاب داود الأنطاكي "التذكرة" المؤلف عام 1599م على كثرة قرائه وتعدد مرات طباعته إنما يعيد تكرار آراء كتاب القانون لابن سينا، كما أن قاموس الأطباء لمدين الكوسوني Madjan al-Qausuni، لا يتحدث عن نظرية الدورة الدموية في إطار عرضه لموضوع القلب، على الرغم من أن المؤلف معاصر شاب لويليام هارفي الإنجليزي، مكتشف الدورة الدموية الكبرى، وكان على علم واسع بأحوال الطب الأوروبي[107].

ويخلص مايرهوف إلى استنتاج، هو في الأصل تقرير حال، وهو أنه إن

كان ليس ثمة أثر في العالم الإسلامي لأفكار ابن النفيس على الرغم من أن شروحه حول التشريح نسخت وصوبت بهمة ونشاط من قبل أطباء إلى ما قبل عقود قليلة، فأحرى بنا ألا نتوقع أدنى أثر لنظرية ابن النفيس في الغرب الأوروبي[108]، ويستدرك مايرهوف قائلاً: "ومع ذلك فإنه يمكن إثبات الواقعة الغريبة، وهي أن نظرية الدورة الرئوية كما صاغها ميخائيل سيرفيتوس عام 1553، تظهر وكأنها مقتطف لاتيني معد على أساس النص العربي لابن النفيس[109]، باستثناء وصف سيرفيتوس للون وريد الرئة بأنه أصفر، وهو ما لم يعلمه ابن النفيس. (لأنه لم يقم بالتشريح ليصف لون الأوردة، كما يذكر مايرهوف مصدقاً لابن النفيس). وبتتبع سيرة حياة سيرفيتوس العلمية واللاهوتية، يورد مايرهوف النص اللاتيني الذي أورده سيرفيتوس عن الدورة الرئوية ليقابله بالنص العربي، ويرى أنه من المفاجئ جداً تشابه نص سيرفيتوس مع نص ابن النفيس في مواضع كثيرة، وأن زيادات سيرفيتوس حول الوريد الرئوي الأصفر ربما شوهد في الحيوانات المذبوحة. ويخلص مايرهوف إلى احتمال أن يكون سرفيتوس قد تمكن من قراءة ابن النفيس في ترجمات جزئية لمخطوطه أو استعان بأحد المستعربين ليترجم له المواضع ذات الصلة بالدورة الرئوية كما وصفها ابن النفيس.[110]

بعض آراء مايرهوف في كتابات عربية معاصرة

نستطيع القول باطمئنان إن النتاج العلمي لمايرهوف في أغلبه لا يزال مجهولاً للقراء العرب، وأن ما يتم الإشارة إليه في كتابات مايرهوف نزر يسير للغاية بالقياس إلى نتاجه العلمي الضخم والمميز، وتعد دراسته حول ابن النفيس ونظرية الدورة الدموية التي أشرنا إليها هي الأشهر عند جل الكتاب الذين اهتموا بابن النفيس وآثاره العلمية، فعبر مايرهوف عرف ابن النفيس على نحو واسع وبدأت كتابات كثيرة علمية تلتفت إليه وإلى إسهاماته العلمية[111] أما التطاوي صاحب الاكتشاف الأصلي فلم يقدر لرسالته الذيوع، لكن اسمه ذاع عبر مايرهوف وبقي فضل رسالته كامناً في الإشارة إلى الاكتشاف المثير الذي وقع

عليه. وقد سلكت دراسة مايرهوف - كما بينا فيما سبق - طريقاً علمياً شاقاً للتأكيد على الاكتشاف، وبفضل الإحاطة الشاملة بالموضوع ووضع الأسئلة العلمية الضرورية أثارت دراسة مايرهوف شهية الدارسين في الشرق والغرب لمعرفة ابن النفيس وآثاره العلمية. ولابد من الإشارة أولاً إلى أن فضل مايرهوف في التعريف باكتشاف ابن النفيس غير منكور إجمالاً، فهو يصادف في كتابات عدة ولم يخل من ذكر اسمه مرجع علمي أساس معاصر هو "موسوعة تاريخ العلوم العربية"[112]، لكنه مع ذلك، ربما بسبب غياب سيرة وافية لمايرهوف وعدم معرفة أعماله كاملة، لا يصل التوقير له إلى الدرجة التي يستحقها عند أغلب الكتاب؛ فقد رأينا فيما تقدم عينة فقط من إنجازاته العلمية، تظهر همة الرجل العلمية وكيف كلف نفسه البحث عن تاريخ ابن النفيس وعصره ونتاجه العلمي الطبي خاصة، فأخذ يدرس ويقارن ويستنتج ويخرج بأحكام بدت له خلاصات منطقية، ومنها:

1 - أن غياب سيرة لابن النفيس عند ابن أبي أصيبعة "تجيز استنتاج أن الرجلين لم يكونا على وفاق، وأسباب ذلك تكمن في المنافسة على الحظوة عند أمير ما أو على منصب، وهي منافسة ليست نادرة كما هو معروف قديماً وحديثاً في الشرق كما في الغرب"[113]

2 - أن اكتشاف ابن النفيس لم يجد صدى لا في موطنه ولا في الغرب بدليل عدم شيوعه لا في الكتابات المعاصرة ولا التي ظهرت بعد ذلك في الشرق.

ولأن بعض الكتابات المعاصرة لها رأي مخالف في هاتين النقطتين تحديداً، فقد استحسنت في خاتمة التعريف بمايرهوف وجهوده أن أناقشهما، استكمالاً لسيرة مايرهوف من خلال رصد آثار بعض آرائه العلمية.

وفيما يخص النقطة الأولى المتعلقة باستخلاص مايرهوف وجود علاقة سيئة بين الطبيبين المتعاصرين ابن النفيس وابن أبي أصيبعة، نجد كتاباً معاصرين يدحضون هذا الاستخلاص، ومنهم بول غليونجي وماهر عبد القادر.

ففي ورقة مقدمة إلى مؤتمر الطب الإسلامي نشرت ضمن أعمال المؤتمر في المحور الخاص بابن النفيس (العدد الثاني صص 376- 443)،(ونحن هنا نعتمد على الترجمة العربية) يدحض غليونجي فكرة الخصومة والمنافسة بالإشارة إلى وجود سيرة لابن النفيس كلها مدح وإطراء عند ابن أبي أ صيبعة في مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق لم يكن متيسراً لناشر الطبعة المتداولة من كتاب ابن أبي أصيبعة "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، ثم يذكر غليونجي أن مايرهوف هو "مختلق رواية المكيدة" التي فسر بها عدم وجود سيرة لابن النفيس في كتاب ابن أبي أصيبعة، كما يذكر أن مايرهوف ظل مصراً على هذا التفسير حتى بعد أن قرأ سيرة لابن النفيس في كتاب "مسالك الأمصار في ممالك الأمصار" للعمري، ينسب معظمها لابن أبي أصيبعة، معللاً ذلك بأنها سيرة مدسوسة على ابن أبي أصيبعة[114]. وفي كتاب مقدمة في تاريخ الطب العربي لمؤلفه الدكتور ماهر عبد القاهر محمد علي، يذكر أن ابن أبي أصيبعة كتب ترجمة لابن النفيس مثبتة في نسخة المخطوط التي عثر عليها في الظاهرية، وأن هناك صورة فوتوغرافية لهذه الترجمة في "فهرس مخطوطات الظاهرية" للدكتور سامي حمارنة، وأن هذه الترجمة تكذب الاعتقاد الذي ساد طويلاً بعدم وجود ترجمة لابن النفيس عند ابن أبي أصيبعة ثم يقول: " وهو اعتقاد مشوب بالتعجب نظراً لزمالة الرجلين ومعاصره كل منهما للآخر، حتى إن قرائح المستشرقين أنتجت قصصاً حول معاداة الرجلين أحدهما للآخر، قصصاً ما لبثت هذه المخطوطة أن أظهرت تهافتها وبطلانها"، ثم يحيل في الهامش على مايرهوف وأنه بين المستشرقين الذين ابتدعوا حكاية الوقيعة بين ابن النفيس وابن أبي أصيبعة.[115]

ولسنا بصدد ترجيح حجج الفريقين، فنظرية الدس والاختلاق التي سادت في كثير من كتابات الاستشراق لم تكن يوماً مدخلاً مناسباً للإجابة عن تساؤلات علمية ذات بال، وسقوط سيرة من مخطوط ووجودها في أخرى أمر وارد، لكن التذكير واجب هنا بأهمية التساؤل العلمي المبرر الذي أثاره مايرهوف ثم ببداهة الاستنتاج الذي توصل إليه على ضوء المتاح من المصادر، وبناء عليه يصعب فهم الموقف الاتهامي والمتشنج في صياغة الردود لمن استشهدنا بهم من الكتاب

وأضرابهم، فقد كان استنتاج مايرهوف بدهياً أملاه سؤال علمي ضروري في إطار المتاح من المصادر، ولاسيما قد صاغ مايرهوف استنتاجه ذاك بحصافة وهدوء، ولذلك أثبتنا ترجمته الحرفية آنفاً ونكرره هنا لتأمله ثانية وفيه: أن غياب سيرة لابن النفيس عند ابن أبي أصيبعة " تجيز استنتاج أن الرجلين لم يكونا على وفاق، وأسباب ذلك تكمن في المنافسة على الحظوة عند أمير ما أو على منصب، وهي منافسة ليست نادرة كما هو معروف قديماً وحديثاً في الشرق كما في الغرب " (116)

فالمسألة إذاً لا تحتاج تشنجاً أو اتهاماً، ويشكر الذين التفتوا إلى سؤال ابن النفيس وبحثوا عن إجابات تخالف ما ذهب إليه مايرهوف، وهو أمر مألوف في العلم، ومع ذلك تبقى هذه المسألة هامشية بالقياس إلى جهود مايرهوف الكبيرة في خدمة تراث الطب العربي الإسلامي.

وفيما يخص أثر اكتشاف ابن النفيس في الشرق والغرب ونفي مايرهوف لوجوده، فإن تصويبات الكتاب المتأخرين لهذه الفكرة تتم بهدوء(117)، فيذكرون صدى نظرية ابن النفيس في بعض الكتابات العربية ويتتبعون طرق وصولها إلى الغرب عبر إيطاليا، ومع ذلك فإن وجود صدى لمعارف ابن النفيس الطبية في بعض المخطوطات وغيابها عن بعض آخر، ذكرها مايرهوف، يفيد عدم شيوع معارف ابن النفيس بديلاً علمياً للشائع من آراء جالينوس وابن سينا، فقد استمرت في الذيوع والانتشار على الرغم من تصويبات ابن النفيس، وربما عد هذا الحال مؤشراً على طبيعة التداول المعرفي لذلك الوقت، حيث الجديد المنضوي في الشروح والتعليقات لا يجد الالتفات الاستثنائي والمميز له عند الجماعة العلمية المنشغلة بالطب والتشريح، وهو الملمح التاريخي الأهم في هذا السياق.

الموضوع هنا ليس متابعة مسار الفكرة العلمية، فهذا أمر يقع خارج إطار التعريف بجهود مايرهوف، بل وضع آراء مايرهوف في سياقها الطبيعي وأن ما ثبت خطؤه بعدئذ إنما تم بفضل الأسئلة العلمية التي أثارها مايرهوف نفسه، ولم يجد وقتها ما يعينه على غير ما استنتج واستخلص، لكن همة الباحثين الذين أتوا

بعد ذلك وأثبتوا معرفة الشرق والغرب لآراء ابن النفيس إنما تعزز رأي مايرهوف الأساس وهو أن ما كتبه سيرفتوس حول الدورة الدموية الصغرى، إنما كان نقلاً عن مخطوط عربي أصلاً بحكم التشابه الكبير بين النصين العربي واللاتيني.

خاتمة

أسدى مايرهوف للتراث الطبي العربي خدمات جليلة بتتبعه المعارف الطبية المختلفة وطب العيون خاصة، وبتتبعه لنوادر المخطوطات وتحقيق بعضها وبنشره المئات من المقالات والدراسات عن التراث الطبي العربي الإسلامي، ويعد من أوائل المستشرقين الذين أسسوا لبنات تاريخ علم الطب عند العرب والمسلمين، وتشهد له دراساته اتصافه بالدقة والموضوعية وفتحه آفاقاً معرفية للمستشرقين زادت من اهتمامهم بالتراث الجليل المنسي في حضارة العرب والإسلام. وعلى الرغم من المآثر العلمية لمايرهوف فلم يتسنَّ حتى الآن للقراء العرب تعرف نتاجه العلمي كاملاً عن قرب، ولا أعتقد أن المكتبات العربية تحوي أعماله الكاملة، باستثناء بعض أعماله ذات الصلة بتاريخ الطب العربي الإسلامي؛ فقد جمعها ونشرها في ثلاثة مجلدات توفيق سيزكن مدير المعهد الإسلامي في فرانكفورت[118]، ولا أعلم بعد ترجمة عربية لهذه المجلدات لتتاح لقطاع عريض من القراء العرب ليطلعوا على جهود واحد من أبرز علماء تاريخ الطب الإسلامي، ولئن افتقرت المكتبات العربية إلى ثمار عقله مترجمة بلغة الضاد غالباً، فربما وجد بعض العزاء في أن مكتبة مايرهوف الشخصية والقيمة آلت إلى مكتبة جامعة القاهرة بالشراء عام 1945.[119]

ذكر كتاب سيرة مايرهوف أنه، وبفضل بنية جسمه القوية، كان طاقة عمل لا يكل، وهي الطاقة التي مكنته من القيام بعدة أنشطة في وقت واحد، ثم إنه كان عبقرية فذة في إدارة الوقت أيضاً، فقد ذكر شخت أن مايرهوف وفي العقد الذي تلا استقراره الأول في مصر، كرس أيامه لممارسة مهنة الطب واشتهر فيها أيما شهرة، كما كرس فضل وقته للأبحاث الطبية ودراساته، ومنه ساعات عدة من لياليه، وغالباً ما كان يحدث هذا تحت وطأة صيف حار مرهق في القاهرة وعلى ضوء قنديل الغاز[120].

وكتب الطبيب الأمريكي بيكارد في نعيه لمايرهوف: " كان مايرهوف في مصر طبيب عيون، لكنه صار لعقود شخصية رمزية، وكان اسمه مرادفاً للعافية البصرية عند المكفوفين، وسيندب طويلاً عند مرضاه الذين لا حصر لهم وعند أصدقائه وزملائه العلماء في العالم كله "[121].

وبكلمات شخت المعبرة نختم هذا البحث: "كان مايرهوف مفعماً بإحساس عميق بالمسؤولية إزاء كل من مهنة الطب والبحث العلمي، وكان بين مثله التي عاش وعمل لأجلها، أن يجعل الشرق مفهوماً مستحقاً للتقدير بسبب ماضيه العلمي العظيم، وأن يساعد، على بناء تفاهم جديد وتعاون بين الشرق والغرب، وأن يتغلب على الأحكام المسبقة والتعصب حيثما وجدا. "[122] وهي مثل نبيلة لا تزال تنتظر الإنجاز.

الهوامش والمراجع

(1) انظر على سبيل المثال: رضوان السيد: **المستشرقون الألمان، النشوء والتأثير والمصائر**، بيروت: الدار الإسلامية، 2007. صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان، تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دراسات جمعها وشارك فيها صلاح الدين المنجد، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1978. رودي بارت: **الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية (المستشرقون منذ نيولدكه)**، ترجمة: مصطفى ماهر، القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1967. وانظر، أحمد محمود هويدي: الاستشراق الألماني، إصدار وزارة الأوقاف، القاهرة 2000.

(2) جيزلا كيرشنر: **تاريخ الصيدلة العربية عند المستشرقين الألمان**، في كتاب، صلاح الدين المنجد، ج1، 1978، ص 144-137.

(3) انظر: ماكس مايرهوف، من الإسكندرية إلى بغداد، بحث في تاريخ التعليم الفلسفي والطبي عند العرب، في: عبدالرحمن بدوي: **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية**، ط 3، القاهرة: دار النهضة العربية، 1965، ص 100 -37.

(4) ذكر سارتون أن العدد 9 الذي يكتب مقدمته الآن كان مقرراً أن يصدر عام 1940 أو عام 1941، لكن ظروف الحرب العالمية الثانية أخرته 9 سنوات، وأنه يصدر الآن متأخراً جداً وأن مايرهوف لن يجد مسرة وعزاء فيه لكنه يبقى تقديراً لذكراه. كما ذكر سارتون أنه رأى مايرهوف مرتين في حياته، مرة في القاهرة وكان ضيفاً عنده ومرة أخرى في لشبونة حيث حضر المؤتمر الثالث لتاريخ العلوم في خريف عام 1934، وأن مراسلاته مع مايرهوف بدأت فوراً بعد الحرب العالمية الأولى واستمرت حتى نهاية حياته، ثم يصف مراسلاته بأنها كانت

متعددة اللغات وذات طابع عالمي منفتح، و يستطرد سارتون ليشهد لمايرهوف بجودة معارفه في العربية، وخاصة لغة الفلسفة والطب المبكرة. انظر: Sarton, George, Preface to Volume 1X, vol. 9, England,!950, p 5- 6.

(5) - Raff, wolfgang, Deutsche Augen?rtzte in?gypten (Eine nicht ver?ffentlichte Dissertation).S 116. vorgelegt im 1984.

(6) - Schacht, Joseph, Max Meyerhof, in Osiris, vol. 9, England 1950, p 6.

(7) - Schacht, 1950, p. 6. Raff. 1984, p 116.

(8) - Schacht,1950, p. 8. Raff. 1984, p 116.

(9) - Schacht,1950, p. 8. Raff. 1984, p 116.

(10) - Raff. 1984, p. 118.

(11) - Schacht, 1950, p.8.

(12) - Schacht, 1950, p.8.

(13) - Raff. 1984, p. 118.

(14) - Littmann, Enno, Max Meyerhof (1874 -1945), in ZDMG, 99 (N.F. 24). PP. 11-14. wiesbaden 1950. p. 11

(15) - Schacht, 1950, p. 8.Littmann, 1950, p 12. Raff 1984, p. 118.

(16) - Raff, 1984, p. 118.

(17) - Raff, 1984, p. 119.

(18) - Raff, 1984, p. 119.

(19) - Raff, 1984, p. 119.

(20) - Littmann,1950, p.12.

(21) - Littmann, 1950, p.12.

(22) - Littmann, 1950,p.12.

(23) - Raff, 1984, p.120.

(24) - Schacht, 1950, p. 9.

(25) - Raff, 1984, p.122.

(26) - Raff, 1984, p.122.

(27) حول جهود محمد علي التحديثية في مجال الطب، انظر، يحيى محمد محمود، البعثات التعليمية الخارجية في عهد محمد علي باشا، في: أعمال التعليم والثقافة في مصر في عهد محمد علي باشا، قسم النشر العلمي، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، 2002، ص 30، 54.

(28) طه، جاد: "معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر"، **دار الفكر العربي**، 1985، ص 211 وما بعدها.

(29) عبد الحكيم، طاهر: **الشخصية الوطنية المصرية: قراءة جديدة لتاريخ مصر**، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1986. ص 179. انظر أيضاً جاد طه، 1985، ص 282.

(30) الشخصية الوطنية المصرية، ص 205 وما بعدها.

(31) - Raff, 1984, p.123.

(32) - Raff, 1984, p.124.

(33) - Raff, 1984, p.124.

(34) - Raff, 1984, p.124.

(35) - Schacht, 1950, p. 9.

(36) - Littmann, 1950, p.12.

(37) - Schacht, 1950, p 9.

(38) - Raff, 1984, p.124.

(39) - Raff, 1984, p.124.

(40) معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ص 290 وما بعدها، عن ثورة 1919، انظر: لاشين، عبد الخالق: **سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية**، القاهرة، بيروت: مكتبة مدبولي، 1975، وكذلك رفاعي، عبد العزيز، **ثورة مصر 1919م، دراسة تحليلية تاريخية 1914–1923**، القاهرة: دار الكاتب العربي، 1966.

(41) - British Journal of Ophthalmology, v 30 (8), August 1946, p. 498 -499

(42) - Littmann, 1950, p.12.

(43) - Schacht, 1950, p.9.

(44) - British Journal of Ophthalmology, v 30 (8), August 1946, p. 498 -499.

(45) - Schacht, 1950, p.10.

(46) - Schacht, 1950, p.10.

(47) - Raff, 1984, p.126.

(48) - Raff, 1984, p.126.

(49) - Schacht, 1950, p.10-11.

(50) - Raff., 1984, p.126.

(51) - Littmann,1950, p.13

(52) - Littmann, 1950, p.14.

(53) تاريخ الصيدلة العربية عند المستشرقين الألمان، ص 144.

(54) - Raff, 1984.p.126.

(55) - Raff, 1984.p.127.

(56) - Raff, 1984, p.127.

(57) - Schacht, 1950, p.12- 32

(58) - Schacht, 1950, p. 9. Raff, 1984, PP. 122-123.

(59) حنين ابن إسحاق، كتاب العشر مقالات في العين المنسوب لحنين بن إسحاق، طبع النص العربي من النسختين الوحيدتين المعروفتين، وترجمه إلى الإنجليزية مع بيان شرح المصطلحات ومعجم الأسماء الطبية، الدكتور ماكس مايرهوف، طبيب العيون بالقاهرة. بيروت: دار صادر، عن المطبعة الأميرية في القاهرة عام 1928، ص 5.

(60) - Schact, 1950, p. 9.

(61) - Schact, 1950, p. 9.

(62) - Schacht, 1950, p. 9.

(63) - Raff, 1984, pp.127-128.

(64) - Raff, 1984, pp.128-131.

(65) كتاب العشر مقالات، ص 1.

(66) كتاب العشر مقالات، ص 1، 2

(67) كتاب العشر مقالات ص 2، 3.

(68) كتاب العشر مقالات في العين، ص 3.

(69) كتاب العشر مقالات في العين، ص4.

(70) كتاب العشر مقالات في العين، ص 4.

(71) من بين مؤلفات كراتشكوفسكي، الاستعراب في روسيا، والصادر في لينغراد عام 1941، و"مقالات في تاريخ الاستعراب في روسيا والاتحاد السوفيتي"، عن دار التقدم، موسكو عام 1946. وعن الاستعراب في الاتحاد السوفيتي سابقاً، انظر: شرباتوف، **الاستعراب في الاتحاد السوفيتي**، موسكو: دار التقدم، 19961.

(72) انظر: مقدمة كتاب العشر مقالات في العين، المنسوب لحنين بن إسحاق، ص 14-6.

(73) - Raff, 1984, p.132.

(74) - Raff, 1984.p.132.

(75) - Raff, 1984, pp.132-33.

(76) ابن النديم: **الفهرست**، بيروت: د.ت، ص 408-407.

(77) - Raff, 1984, pp.133.

(78) انظر مقدمة كتاب أبي عمران موسى بن عبيد الله الإسرائيلي القرطبي، شرح أسماء العقار، نشره وصححه وراجعه، ماكس مايرهوف، مكتبة المتنبي، 1969. وعن موسى بن ميمون، انظر أيضاً، إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1936.

(79) - Raff, 1984, p.135.

(80) - Raff, 1984, p.135.

(81) - Raff, 1984, p.136.

(82) - Raff, 1984, p.136.

(83) - In, Raff, 1984, p.136.

(84) زيدان، يوسف: "علاء الدين(ابن النفيس) القرشي، إعادة اكتشاف". أبو ظبي: **المجمع الثقافي**، 1999، ص 85.

(85) عن علي بن رضوان، انظر: سليمان قطاية، الطبيب العربي علي بن رضوان، بيروت، 1983.

(86) - In Raff, 1984,p.160 " Kluzinger C.B.: Erinnerungen aus meinem Leben als Artzt und Natürforscher zu Koseir am Roten Meer. Würzburg: C. Kabitzsch, 1915.

(87) - Raff, 1984, p.137.

(88) - Raff, 1984, p.37.

(89) - Raff, 1984, p.138.

(90) - Raff, 1984, p.138.

(91) - Meyerhof, Ibn an-Nafis und seine Theorie des Lungenkreislaufs, P. 41.In "Quellen und Studien zur Geschichte der Medizin und der Naturwissenschaften" Herausgegeben vom Institut für Geschichte der Medizin und der Naturwissenschaften in Berlin. Julius Springer Verlag, Berlin. 1933.

(92) - M. Meyerhof,, 1933, p. 41.

(93) - M. Meyerhof, 1933, p. 42.

(94) - Meyerhof, 1933, p. 43 ff.

(95) - Meyerhof, 1933,p.48.

(96) - Meyerhof, 1933, p. 48 ff.

(97) انظر: علاء الدين (ابن النفيس) القرشي.

(98) - Meyerhof, 1933, p. 48 ff.

(99) - Meyerhof, 1933, p. 68.

(100) لكن بعض دارسي ابن النفيس البارزين، أمثال بول غليونجي وعبد الكريم شحادة، يميلون

بقوة إلى تأكيد قيام ابن النفيس بالتشريح مستعينين بإشاراته هو نفسه حول التشريح، وأنه إنما زعم أنه لم يشرح اتقاء للرأي الفقهي السائد آنئذ بحرمة التشريح. بول غليونجي، سلب الغرب فضل ابن النفيس عليه، في أبحاث وأعمال المؤتمر الطبي الثالث عن الطب الإسلامي، العدد الثاني، الكويت، 1982، ص 380. عبد الكريم شحادة، 1982 ابن النفيس المكتشف الأول للدورة الدموية الرئوية في أبحاث وأعمال المؤتمر الطبي الثالث عن الطب الإسلامي، العدد الثاني، الكويت، ص 394. ولم يصدق ليشتينهيلر مؤلف كتاب تاريخ الطب، وهو يستعرض إنجازات ابن النفيس في التشريح، لم يصدق زعم ابن النفيس بأنه لم يشرح، وقال: إن دقة وصفه للدورة الدموية تكذب زعمه، وافترض أنه مارس التشريح خفية، انظر:

- Llichtenhaeer, Geschichte der Medizin. Band 1, deutsche?rtzte Verlag. 1982. P259.

(101) - Meyerhof, 1933, p. 71.

(102) - Meyerhof,1933, p. 71ff.

(103) Meyerhof, 1933, p. 86. يذكر مايرهوف عدداً من الأعمال ذات الصلة بالتشريح ويقول: إنها قامت على أساس الترجمات التي أعدت لكتابات جالينوس.

(104) - Meyerhof, 1933, p. 85.

(105) - Meyerhof, 1933, p.85.

(106) - Meyerhof, 1933, p. 86.

(107) - Meyerhof, 1933, p. 86.

(108) - Meyerhof, 1933, p. 86.

(109) - Meyerhof, 1933, p. 86.

(110) - Meyerhof,1933, p. 88.

(111) انظر: شحادة، عبد الكريم: "ابن النفيس المكتشف الأول للدورة الدموية الرئوية"، في أبحاث وأعمال المؤتمر الطبي الثالث عن الطب الإسلامي"، العدد الثاني، الكويت، 1982، ص 389. يستعرض شحاتة أسماء الذين بحثوا في ابن النفيس بعد مايرهوف وهو منهم.

(112) انظر مثالاً على ذلك فقط، رشدي راشد، (إشراف) "موسوعة تاريخ العلوم العربية"، ج3، بيروت: **مركز دراسات الوحدة العربية**، 1997، ص 1044.

(113) - Meyerhof, 1933, p. 48.

(114) بول غليونجي: "سلب الغرب فضل ابن النفيس عليه"، في أبحاث وأعمال المؤتمر الطبي الثالث عن الطب الإسلامي"، العدد الثاني، الكويت، 1982، ص 379.

(115) ماهر، عبد القادر: **مقدمة في تاريخ الطب العربي**، بيروت: دار العلوم العربية، 1988. ص 96.

(116) - Meyerhof, 1933, p. 48.

(117) سلب الغرب فضل ابن النفيس عليه، ص 379. ابن النفيس المكتشف الأول للدورة الدموية الرئوية، ص 394–398.

(118) - Studies on the History of Islamic Medicine and related Fields by Max Meyerhof. Collected and Reprinted. Ed. F. Sezgin.1997.

(119) أبو السعود، إبراهيم: واقع المكتبات الجامعية، في مصر. وقد أخبرني الأستاذ الدكتور خالد حرب، أستاذ فلسفة العلم بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وصاحب الهمة العلياء في تحقيق كتب الرازي الطبية، حين التقيته في مؤتمر العلوم العربية الإسلامية المنعقد في جامعة الشارقة في مارس عام 2008، أخبرني أن مكتبة الإسكندرية تحوي ركناً خاصاً بكتب مايرهوف يحمل اسمه، وقد أحببت إثبات هذه المعلومة هنا لتصويب أي خطأ محتمل حول مصير كتبه.

(120) - Schacht, 1950, p 9.

(121) - See the quotation by " Littmann, 1950, p.14.

(122) - Schact, 1950, p 6.

❊ ❊ ❊